أردنا بمناسبة اليوبيل الذهبي لإنشاء المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، وبعد خمسين عاما من الجهد الأمل الرامي إلى الحفاظ على واحد من أهم عمده ، مجلته الغراء ، تكريم هؤلاء الذين حولوا هذا الحلم الواعد إلى واقع ملموس.

وإيمانا منا بالدور الذي قامت وتقوم به مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية باعتبارها نقطة وصل وتواصل بين المشتغلين بالدراسات العربية من الإسبان والإسبانية من العرب ، نرى أنه بات علينا أن نستغل معطيات عصر التكنولوجيا لتخليد شهادات وأبحاث ثقاة الفكر والقلم من العرب والإسبان المدونة على ما يربو على ثلاثين ألف صفحة في ثلاثين مجلدا ، تراث ثرى غائر الأعماق من الإبداع والدرس والبحث في ثمار واحدة من أهم الحضارات التي ورثتها البشرية: الحضارة الإسبانية العربية ...

إن هذا القرص، الذي تحمله بين يديك أيها القارئ الكريم، الذي يضم في ثنايا موجاته المغناطيسية كنزا تراكم على مر خمسين عاما، يرنو إلى أن يكون احتفاء بالمستقبل وبالأجيال الجديدة التي تواصل مهمة إثراء هذا الكنز المعرفي الذي نهديه لك ولأنفسنا ولكل المعنيين بالتراث العربي الأندلسي في هذا القرص الصغير في حجمه الكبير في معناه.

ولنا اغتنام هذه المناسبة لنعرب عن عميق امتناننا، وجزيل شكرنا لكل من شاركنا وأسهم في هذا الجهد طوال السنوات الماضية .

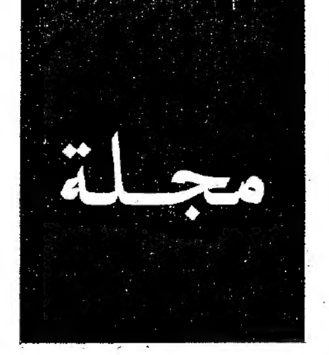
أ.د محمود السيد على

المستشار الثقافي لجمهورية مصر العربية

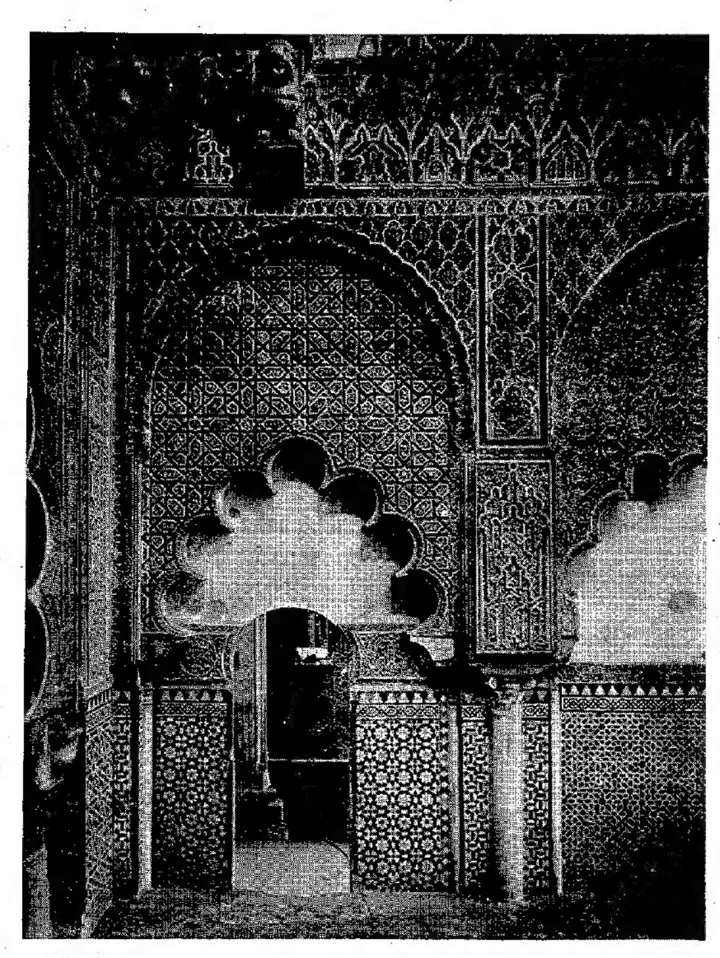
مدير المعهد المصري للدراسات الإسلامية

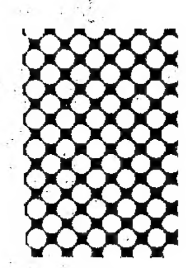
- مدريد في الثاني عشر من أكتوبر ١٩٩٩

الجمهورية العربية المتحدة
وزارة التعليم العالى



معهد الدراسات الاسلامية بمدريد





جامع قرطبة

عام ١٩٧٠







الجمهورية العربية المتحدة — وزارة التعليم العالى

مجلة

معهد الدراسات الإسلامية في مدريد

●

يصدرها معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد

●

المجلد الخامس عشر مدريد ١٩٧٠

العنوان : Francisco de Asís Méndez Casariego, 10. — Madrid - 2

ثمن العدد

٣٠٠ قرشاً مصرياً أو ٤٢٠ بيزيته إسبانية أو ٦ دولارات

مطبعة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد
١٩٧٠

فهرس القسم العربي



تقديم . . . ورثاء

● كان مقرراً لهذا التقديم أن يعلن مرور عشرين عاماً على تأسيس المعهد المصرى للدراسات الإسلامية فى مدريد ، الذى يصدر هذه المجلة ويرعاها . وقد أعدت هذه المقدمة بالفعل تسجيلا لما نهض به المعهد خلال هذه الفترة من بحوث وما حققه من أهداف بمعاونة العديد من الأساتذة الإسبان وعلماء الاستشراق فى جامعات العالم وخارجها ، وذلك فى وقفة فاحصة تتلمس الطريق إلى المستقبل ، وترجع الفضل إلى أصحابه . فإذا كان التاريخ الرائع لإسبانيا المسلمة هو حظ مشترك بيننا وبين الإسبان : كان لهم المكان ، وكان لنا ولهم الزمن ، فإن روح البحث والتعاون العلمى قد أتاحا لهذا المعهد منذ اليوم الأول لإنشائه صداقات حقيقية تملأ الأرض الإسبانية طولاً وعرضاً .

● وبدأ التقديم باسترجاع تاريخ يوم عظيم من مآثر عالم العربية الكبير الدكتور طه حسين عندما استصدر من مجلس الوزراء قبل الثورة قرار إنشاء هذا المعهد ، واستقبلناه نحن طلاب البعثة التعليمية المصرية عندما قدم إلى مدريد ، وألقى سيادته خطاب الافتتاح فى اليوم الحادى عشر من شهر نوفمبر عام ألف وتسعمائة وخمسين فى جمع غفير من رجال الجامعات وكبار المسئولين والمثقفين الاسبان .

- وان رحلة الذكريات عشرين عاماً إلى الوراء لتستخلص من الأعماق فى سهولة ويسر ذلك الأثر الشجى الذى ظل يتردد فى أذنى . . . صوت أستاذنا الدكتور طـــه حسين وزير المعارف فى ذلك الوقت وهو يلقى خطابه معلناً قيام هذا المعهد على أرض الحضارة العربية الأندلسية .

- إلا أن الذاكرة لتصحو وتعود بقوة للحاضر الذى نعيشه فيعتصرنا الألم ويشدنا من الأعماق ، فبينما كانت عجلات آلة الطباعة تدور دوراتها الأخيرة للانتهاء من الملزمة المتبقية من محتويات هذا العدد ، فاض المـداد الأسود فجـأة معلناً الحداد الأعظم . . . ففى تمام الساعة السادسة والربع من مساء الإثنين الثامن والعشرين من شهر سبتمبر الماضى فقدنا ، وفقدت الجمهورية العربية المتحدة والعالم العربى وشعوب العالم أجمع علماً من أبرز شخصيات هذا العصر ، إذ صعدت روح الرئيس الخالد جمـال عبد الناصر إلى بارئها « راضية مرضية » .

- وإذا كان تأسيس هذا المعهد يرجع إلى عهد ما قبل الثورة بفضل شخصية الدكتور طه حسين ومكانته الفريدة ، فإن الفضل يرجع للثورة المصرية فى مساندة هذا المعهد طوال ثمانية عشر عاماً وفرت له فيها السبل ليعكف على رسالته فى هذه المنطقة الزاخرة بالتراث ، العـامرة بالأمجـاد . وظلت هذه اليد موصولة فى أحرج الأوقات عندما بدأت قوى الاستعمار والصهيونية الباغية حربها ضد الجمهورية العربية المتحدة ، ومحاصرة اقتصادياتها ، بعد أن يئست من صرفها عن دورها الطليعى لقوى التحرر والنضال العربى فى كل مكان من أرجاء الوطن العربى الكبير وفى افريقيا وغيرها من الشعوب المتطلعة للتحرر الوطنى . . . فقد أبت دائمـاً قيـادة رئيسنا الحكيمة إلا

الإبقاء على هذا المركـــز الثقافى رغم نضوب الموارد وتضاعف الالتزامات . وانه إذا أدركنا أن محنة هذا العصر هو ذلك الدور المركب الخطير الذى يلعبه المـال فى مقدرات الأمور ومسيرتها ، فإننا لنقدر بمزيد من الإعزاز : أن إرادة الثورة المصرية فى أشد الظروف حلكة لم تبخل على العلم قط ، حقاً لقد واجهنا بعض الضيق ، إلا أن هذا المعهد قد رفع دائماً أعلامه واستمر مؤدياً رسالته ، وصدرت ضمن ذلك أعداد هذه المجلة عاماً تلو عام ، إيماناً من الثورة بأن تاريخ العرب وحده متكامله فى مشرقه وفى مغربه ، وانه إذا كانت الأندلس قد عاشت زمناً من أبرز أزمان العرب ، فإن تاريخ اسبانيـا المسلمة هو حلقة متصلة لإمكانيات هذا الشعب ، وطـاقاته الخلاَّقة ، التى آمن بها رئيسنا العظيم الراحل ، وعمل من أجل بعثها وإحياء مقوماتها المعاصرة دون هوادة أو كلل .

- وفوق ذلك كان رحمه الله مثالاً رائعـاً للصبر على المكاره والصمود لها فى عزة وإباء ، ألهب حماس الجماهير العربية لتصحو ، ولتتمسك بكرامتها ، ولتعمل بشغف لتعيد شكل الحياة من حولها .

- ولقد كان من جانبه الانسانى مثـالا رائعـاً وفريداً يذكرنا بأمجـاد المسلمين الأوائل ، فكان رحمه الله كلما زادت هالة الزعامة من حوله ازداد تواضعاً ، وقربا إلى القلوب . وكان معلماً عظيماً ، فلم ييأس ضعيف من عدله ، ولم يبتعد ولم يضجر من الناس ، بل فتح لهم قلبه ، وباشر أمورهم بنفسه على أنه كان يشعر دائمـاً انه واحد منهم ، غير أن الله جعله أثقلهم حملا .

● لقد وضعت أمامه قوى الامبريالية والصهيونية العالمية أعتى محاولات القهر العسكرى والتحكم البربرى فى القرن العشرين ، إلا أنه كان واضح الرؤية خالص النية ، صادقها . . . ولقد صدق إذ قال :

« إن من واجبى أن أعطى هذا الوطن ، راضياً وفخوراً كل ما لدى . . . حتى الحياة ، إلى آخر نفس فيها . . . »

● واليوم يحنى أعضاء تحرير المجلة هاماتهم ، وينكس المعهد أعلامه خشوعاً لقضاء الله ، ويبلغ بنا الحزن مداه ، ويقسو علينا الألم ، لذا أرجو أن يغفر لنا القارىء هذا التقديم الباكي . . . لقد بكاه مفكرو العالم ، وزعماء الحرية وقادتها أينما وجدوا ، إذ لم يكن شخصاً عاديا من أصحاب الفضل — وأصحاب الفضل كثيرون — بل كان بطلا تصدى للظلم المتجبر ، وللعدوان الخادع فجابههما ، دون رهبة ، بمبادىء لا تحيد ، وصلابة لا تلين ، ومواقف إيجابية حاسمة . . . حتى انه وسط الغمام الذى صاحب لحظات وداعه ألهمَ البطولة لكل عربى من حوله ، فإذا به يشعر بعزم أنه بطل نفسه ، وبطل مستقبله . وبدأ رفاق جمال على الفور خطاهم الحثيثة الواعية ، فى أثره ، يحفرون طريق المجد عبر الصخر .

● إن المصرى العربى جمال عبد الناصر سيبقى دائماً نشيداً حماسياً فذاً تهتف به ملايين الحناجر البشرية ، وستظل تدوى به بقوة فى ضمير العالم المتحضر ، حتى يسود كوكبنا هذا الضائع ، ما نادى به الرسل أجمعين ، من الحب ، والاخاء ، والسلام . . . ؟

عز الدين حموده

مدير المعهد ورئيس التحرير

الأبحاث والنصوص العربية



رسائل جديدة لابن باجة

لم يترك الفيلسوف الأندلسى المتوفى فى ريق الشباب (فى فاس سنة ١١٣٨ م) أبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ المعروف بابن باجّة — غير رسائل صغيرة وتعاليق أغلبها على مؤلفات أرسطو . وكان المعروف عند الباحثين منها حتى الآن ثلاث مجموعات ، هى :

— المجموعة المحفوظة فى مكتبة بودلى بأوكسفورد تحت رقم پوكوك ٢٠٦ Pococke .

— مجموعة برلين برقم ٥٠٦٠ فى فهرست ألفرت لمخطوطات برلين العربية (جـ ٤ ص ٣٩٦ — ٣٩٩) وكانت برقم ٨٧ فيدمان Wiedemann .

— مجموعة الاسكوريال برقم ٦١٢

ولكننا اطلعنا على مجموعة رابعة تحتوى على ثلاث رسائل لابن باجة ، اثنتان منها لا توجدان فى المجموعات الثلاث السالفة . وهذه المجموعة محفوظة فى مخطوط ممتاز يحتوى على ٩٢ رسالة فلسفية لفلاسفة يونانيين ومسلمين ، هو المخطوط رقم ٢٣٨٥ فى طشقند (بجمهورية أزبكستان فى الاتحاد السوفييتى) . وقد توفرنا على دراسة وتحقيق ما فيه من رسائل . وها نحن أولاء ننشر هاهنا ما فيه من رسائل لابن باجّة .

ونقدم بين يدى هذه النشرة ببيان لما بقى لدينا من رسائل لابن باجّة فى هذه المجموعات الأربع .

مجموعة أوكسفورد

تمتاز هذه المجموعة بأن الذى جمعها كان تلميذاً لابن باجة ، وهو الوزير أبو الحسن على بن عبد العزيز بن الإمام ، الذى قال عنه ابن أبى أصيبعة (« عيون الأنباء فى طبقات الأطباء » جـ ٢ ص ٦٣) : «كان هذا أبو الحسن على بن الإمام من غرناطة . وكان كاتباً فاضلاً متميّزاً فى العلوم . وصحب أبا بكر بن باجة مدة ، واشتغل عليه . وسافر أبو الحسن على بن الإمام من الغرب ، وتوفى بقوص» . ثم أضيف إلى ما جمعه رسائل أخرى لابن باجة ، وتكون من ذلك هذه المجموعة من الرسائل التى يحتوى عليها مخطوط مكتبة بودلى بأوكسفورد برقم ٢٠٦ پوكوك .

وهذا ثبتٌ بما يحتوى عليه هذا المخطوط :

١ — من قوله على مقالات السماع : من قوله على المقالة الخامسة ؛ من قوله على المقالة السادسة ؛ من قوله على المقالة السابعة ؛ من قوله على المقالة الثامنة .

٢ — أقوال تقدمت له فى معانى السابعة والثامنة [من « السماع الطبيعى » لأرسطو] .

٣ — ومما تقدم له فى معانى الثامنة خاصة [من « السماع الطبيعى » لأرسطو] .

٤ — قوله فى شرح « الآثار العلوية » .

٥ — من قوله فى « الكون والفساد » .

٦ — من قوله على بعض مقالات كتاب « الحيوان » الأخيرة .

٧ — من قوله على كتاب « الحيوان » .

٨ — كلامه فى النبات .

٩ — من كلامه فى ماهيّة الشوق الطبيعى .

١٠ — كلام بعث به لأبي جعفر يوسف بن حسداى[(١)] .

١١ — ومن كلامه فى إبانة فضل عبد الرحمن بن سيّد المهندس .

١٢ — ومن كلامه نظر آخر .

١٣ — من الأمور التى يمكن بها الوقوف على العقل الفعال .

١٤ — من كلامه فى البحث عن النفس النزوعية .

١٥ — من كلامه فى النفس .

١٦ — من كلامه فى تدبير المتوحد .

١٧ — القول فى الصور الروحانية .

١٨ — من قوله فى الغاية الانسانية .

١٩ — من قوله فى الغرض .

٢٠ — من قوله على الثانية من « السماع » .

٢١ — من الأقاويل المنسوبة إليه .

٢٢ — من قوله فى صدر إيساغوجى .

٢٣ — من كلامه فى لواحق المقولات .

٢٤ — من قوله على كتاب العبارة .

---

(١) هو أبو جعفر يوسف بن أحمد بن حسداى ، من أفاضل الأطبـاء فى الأندلس ، وممن توفروا على دراسة كتب بقراط وجالينوس . وقد شرع فى شرح بعض كتب بقراط بدعوة من المأمون — أبى عبد الله محمد بن نور الدولة أبى شجاع الآمرى — فى مدة أيام دولته (وقد قتل المأمون فى ٤ رمضان سنة ٥١٩ وصلب بظاهر القاهرة) . وقد سافر يوسف بن أحمد بن حسداى من الأندلس إلى الديار المصرية . وله من الكتب (ا) « الشرح المأمونى لكتاب الأيمان لابقراط المعروف بعهده إلى الأطباء » ، صنفه للمأمون أبى عبد الله محمد الآمرى . (ب) « شرح المقالة الأولى من كتاب الفصول لإبقراط » . (ج) تعاليق وجدت بخطه كتبها عند وروده على الاسكندرية من الأندلس . (د) فوائد مستخرجة استخرجها وهذبها من شرح على بن رضوان لكتاب جالينوس إلى اغلوقن : من القول على أول الصناعة الصغيرة لجالينوس . (هـ) كتاب « الإجمال » فى المنطق . (و) « شرح كتاب الإجمال » فى المنطق .

٢٥ — كلامه فى القياس .
٢٦ — كلامه فى البرهان .
٢٧ — وكتب إلى أبى الحسن بن الإمام .
٢٨ — كلامه فى اتصال العقل بالإنسان — [ابتداء هذه الرسالة] .
٢٩ — قول له يتلو رسالة الوداع .
٣٠ — كلامه فى الألحان .
٣١ — كلامه فى النيلوفر .
٣٢ — قسم من رسالة الوداع .

وقد ذكر ابن أبى أصيبعة (جـ ٢ ص ٦٢—٦٤) من هذه الرسائل الأرقام :
١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ٣٢ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ١٦ ، ١٥ ، ١٠ ،
١١ ، ١٨ ، ١٣ ، ٢٦ ، ١٤ على التوالى .

وهذا المخطوط — رغم نفاسته — فإنه لم يورد معظم الرسائل كاملة ، بل اكتفى بفصول منها . ولهذا كانت المخطوطات الأخرى أفضل منه فى الرسائل المشتركة بينها .

ولا شك فى أن مخطوط برلين التالى ذكره هو أفضل مخطوطات رسائل ابن باجة جميعاً : سواء من حيث صحة النص ، ومن حيث تمام الرسائل .

مخطوط برلين رقم ٥٠٦٠

فى فهرست ألفرت جـ ٤ ص ٣٩٦ — ٣٩٩

5060 = Weidemann 87

المخطوط يقع فى ٢١٩ ورقة من حجم الربع ، مسطرته ٢٨ سطراً ومقاسه ٢٧ ٢/٣ × ٢٠ ؛ ٢٢ ١/٢ × ١٤ سم .

وحالته سيئة ، وفيه نُقَرٌ من السمك ، والنص مصاب فى بعض المواضع .

ما فيه من الرسائل

قال . . . فى شرح كتاب السماع

ويقع فى ٩ مقالات .

يبدأ هكذا : « قال أبو بكر : كل صناعة نظرية فلها على ما عُدِّد فى مواضع أُخَر ثلاثة أصناف . . . » .

وينتهى فى ورقة ٧٩ ب هكذا : « . . . وعلى التأليف فهذا هى ، لكن تنفرد بها المهن » .

قوله فى الاسطقسات

ورقة ٧٩ ب ويبدأ هكذا : « أول ما يجب لمن شرع فى النظر فى الاسطقسات أن يفحص هل . . . » .

وينتهى هكذا : ورقة ٨١ ب : « . . . فيشبه أن تكون الخاصية فتنعكس عليها » .

فى المزاج

ورقة ٨٢ ا ويبدأ هكذا : « قال : قصدنا فى هذا القول إحصاء أصناف المزاج من جهة ما هو . . . » .

وينتهى ورقة ٨٣ ب هكذا : « والعصب والعروق فهى كلها يابسة » .

فى المزاج

ورقة ٨٣ ب يبدأ هكذا : « قصدنا فى هذا القول : النظر فى المزاج وإحصاء أصنافه ، وما يعرض له من جهة ما هو مزاج . . . » .

وينتهى ورقة ٨٤ ب هكذا : « . . . وإذا كان ذلك فبيِّن أن الشناعات اللاحقة لتلك » . وهنا نقص ترك له بياض .

شرح لأبى بكر . . . فى الفصول

يبدأ ورقة ٨٥ ا هكذا : « قصدنا فى هذا القول شرح ما أثبته أبقراط الطبيب فى كتابه المسمى بالفصول . وهذا الكتاب أيضاً وقع إلينا نصه مقروناً به تفسير جالينوس الطبيب له ؛ لكن ليس فيما أثبته كفاية فى فهم ما أثبته بقراط » .

ورقة ٩٠ ا ينتهى هكذا : « . . . ولذلك شاركهم الجمهور فيما انقسم لهم من ذلك القول » .

تعاليق فى الأدوية المفردة

ورقة ٩٠ ب ويبدأ : « سُئِل : ما غرض الصناعة الناظرة فى الأدوية المفردة ؟ وهل الذى أدرك جالينوس منها هو الغاية بالإضافة إلى الصناعة ، أم هو غاية بالإضافة إليه . . . » .

وتقع فى مقالتين . وليست كاملة وما بقى ينتهى هكذا ورقة ٩٧ ب : « . . . أمكن أن يدخل فيما طلبناه شىء ليس منه . ونبتدىء فنقول » .

المقالة فى الحميا

ورقة ٩٨ ب ، ويبدأ : « يسهل عليك تصور حمى العفونة الدائمة... » .

وينتهى ١٠١ ب هكذا : « ... الصفراء متوسطة فى الاجتماع ، لأن يبسها سبب للبطء ، وجفوفها سبب للسرعة » .

كتاب الكون والفساد

ورقة ١٠٢ ب ويبدأ : « قد تبين فى السماء والعالم أن أجساماً بسيطة أربعة وأنها متجانسة ومتضادة القوى . . . » .

وينتهى ورقة ١١١ ب هكذا : « ولم تكن النار بسيطة كالهواء » .

ورقة ١٨١ ا وتبدأ هكذا : « قد تبين فى السماع الطبيعى بالأقاويل التى تعطى اليقين ... » .

وينتهى فى ورقة ١٨١ ب هكذا : « ... كان عند ذلك هو جميع المتقدمين » .

فى الوحدة والواحد

هذا العنوان لم يرد فى أول الرسالة ، بل فى ورقة ١٠٢ ا التى تحتوى على عنوانات الرسائل التالية فى المخطوط .

ورقة ١٨٢ ا يبدأ هكذا : « يجب أن نفحص عن الواحد وأصنافه ، وعلى كم نحوٍ يقال ، فإن ذلك يدخل الشك فيما تبين فى المعقولات أنها واحدة .. » .

وينتهى فى ورقة ١٨٣ ب هكذا : « وبالجملة فليعد قسما بنفسه من غير تقسيم » .

فى الفحص عن القوة النزوعية
وكيف هى ، وكم تنزع ، وكيف تنزع

ورقة ١٨٤ ا ويبدأ هكذا : « والنفس النزوعية إما أن تكون جنساً لثلاث قوى وهى النزوعية بالخيال .. » .

وتنتهى ورقة ١٩٠ ا هكذا : « تلك الحال إلاّ وهى متصلة بالمحرك كالقلم » .

رسالة الوداع

ورقة ١٩٠ ب : « قال فى رسالة كتب بها إلى بعض إخوانه وهى رسالة الوداع » .

وتبدأ هكذا : « أطال الله بقاءك أيها الوزير الأجلّ ! إنى لما اعتزمت على الحركة ... » .

وينتهى ٢٠٠ ب هكذا : « ... وشرف همتك قد كمل ، فلا ينسب هذا إلا إليك ولا يعرف إلا بك كل المعانى » .

قول لأبى بكر يتلو « رسالة الوداع »

ورقة ٢٠١ ا ويبدأ : « قد لخصنا فى رسالة الوداع القول فى المحرك الأول فى الإنسان » .

وينتهى ورقة ٢٠٢ ب هكذا : « وذلك القول أخلق بذلك . وفيما قلناه كفاية » .

فى الهيئة

ورقة ٢٠٣ ا ويبدأ : « الهيئة — وهى جزء من علوم التعاليم — من الأمور ... » .

وينتهى ٢٠٤ ب هكذا : « ولذلك تكون الدوائر التى تكون عليها الشمس ... فى رأس » .

فى فنون شتى

ورقة ٢٠٤ ب ويبدأ : « من كلام أبى بكر رحمه الله عن الفرق بين العدم أو الضد بأن تجد ... » .

وينتهى ورقة ٢١٥ ب هكذا : « ... فى البراهين التى تنتج المتأخرة عن الموضوع » .

مقالة الاسكندر فى الرد على من يقول إن
الإبصار يكون بالشعاعات الخارجة من البصر

ورقة ٢١٦ ا وتبدأ هكذا : « قال : إن كان الإبصار إنما يكون بانبثاث الشعاعات وخروجها ... » .

وتنتهى ورقة ٢١٧ ب هكذا : « ولا حركة الصورة إلى البصر ولابهما جميعاً » .

مقالة الاسكندر فى اللون وأى شىء هو على رأي أرسطو

ورقة ٢١٨ ا ويبدأ هكذا : « قال الاسكندر : إن أرسطاطاليس حد اللون حداً قائماً فقال : إن اللون هو أفق البصر المحدود . . . » .

وينتهى ورقة ٢١٩ ا هكذا : « إن اللون هو أفق المستشف المحدود تلخيصاً مختصراً مستقصى شافياً مقنعاً » .

وأوراق المخطوط تسير هكذا : ١ — ٤٢ ، ٦٦ — ٦٩ ، ٤٣ — ٦٥ ، ٧٠ حتى النهاية .

والخط مغربى ، كبير نوعاً ، مستوٍ ، وحسن وواضح ، وليس فيه شكل ، وأحياناً كثيرة بدون نقط .

وقد نسخه عبد الله بن محمد بن يحيى بن أصبغ الأنصارى فى شهر المحرم من سنة ٦٧٠ هـ [= ١٢٧١ م] .

وقيل إن هذا المخطوط فقد من برلين أثناء الحرب العالمية الثانية ؛ لكن توجد له على كل حال مصورات عند بعض الباحثين ، ومنهم أسين بلاثيوس كما أشار هو فى مقدمات نشراته لبعض هذه الرسائل .

مخطوط الاسكوريال برقم ٦١٢

ورد فيه لابن باجة الرسائل التالية :

— تعاليق على كتاب أبى نصر فى المدخل والفصول من إيساغوجى .

— تعاليق على كتاب بارارمنياس للفارابى[1] .
— كلام على أول البرهان .
— كتاب البرهان .
— تعاليق على كتاب المقولات لأبى نصر .

ولم يذكر ابن أبى أصيبعة (« عيون الأنباء فى طبقات الأطباء » ج ٢ ص ٦٣ — ٦٤) من هذه الرسائل غير رقم ٣ هكذا : « قول ذكر فيه التشوق الطبيعى وماهيته ، وابتدأ أن يعطى أسباب البرهان وحقيقته » — والعبارة غامضة جداً : فلسنا ندرى هل يذكر فيها كتابين ، أو كتاباً واحداً ؟ ولسنا ندرى أيضاً هل هو المذكور هنا فى رقم ٣ من مخطوط الاسكوريال .

مخطوط طشقند رقم ٢٣٨٥

أما مخطوط طشقند فقد حوى من رسائل ابن باجة :

— رسالة لأبى بكر محمد بن يحيى [= ابن باجة] فى المتحرك .
وتقع من ص ٣١٥ ب إلى ٣١٦ ا .
— < فى الوحدة والواحد > من ص ٣١٦ ا ، ٣١٧ ا .
ولم يرد لها عنوان ، بل أدمجت فى الرسالة السابقة .
— مقالة لأبى بكر محمد بن يحيى فى الفحص عن القوة النزوعية .
وتقع من ص ٣٤٣ ب — ٣٤٥ ا .
— تتمة المقالة السابقة ، وتبدأ هكذا : « ومن قوله يرحمه الله — فى القوة النزوعية » .

---

(١) كتاب شرح الفارابى على بارارمنياس نشره و. كوتش و س. مرو فى بيروت سنة ١٩٦٠
Commentary in Aristotle's *Peri Hermeneias* (De Interpretatione). Edited with an introduction by W. Kutsch and S. Marrow. (Rech. Instit. Lettres Orientales à Beyrouth, XIII). Beyrouth, 1960.

وهذه التتمة تقع من ص ٣٤٥ ب — ٣٤٧ ا .

وبعد استعراض مشتملات هذه المجموعات الأربع ، نذكر الآن ما تم نشره منها .

نشرات ابن باجة

(١) رسالة فى النبات

نشرها آسين بلاثيوس فى Al-Andalus المجلد الخامس سنة ١٩٤٠ ص ٢٥٥ — ٢٩٩ :

المقدمة من ص ٢٥٥ إلى ٢٦٥

النص العربى من ص ٢٦٦ — ٢٧٨

الترجمة الاسبانية للنص العربى ٢٧٩ — ٢٩٩

وقد نشر النص على أساس مخطوط برلين رقم ٥٠٦٠ ومخطوط اكسفورد رقم ٢٠٦ پوكوك

(٢) رسالة اتصال العقل بالإنسان

نشرها[١] أسين بلاثيوس فى Al-Andalus المجلد السابع سنة ١٩٤٢ من ص ١ — ٤٧ :

المقدمة : من ١ — ٨

النص العربى من ٩ — ٢٣

الترجمة الإسبانية للنص العربى ٢٤ — ٤٧

والنص العربى يوجد كاملا فى مخطوط برلين رقم ٥٠٦٠ من ورقة ١٧٩ ب — ١٨٥ ا

(١) وعن هذه النشرة طبعها الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى ضمن مجموعة عنوانها « تلخيص كتاب النفس لابن رشد » القاهرة سنة ١٩٥٠

أما مخطوط اكسفورد ، برقم ٢٠٦ پوكوك فلا يحتوى (ورقة ٢١٥ ب — ٢١٧ ا) غير بداية الرسالة .

(٣) رسالة الوداع

نشرها أسين بلاثيوس فى Al-Andalus المجلد الثامن سنة ١٩٤٣ من ص ١ — ٨٧ :

المقدمة من ١ — ١٤

النص العربى من ١٥ — ٤٠

الترجمة الاسبانية للنص العربى ٤١ — ٨٧

والنص العربى يوجد كاملا فى مخطوط برلين رقم ٥٠٦٠ من ورقة ١٩٧ ب — ٢٠٩ ب

أما فى مخطوط اكسفورد برقم ٢٠٦ پوكوك فتنقصه الأوراق السبع الأولى من الرسالة ، وباقيها يوجد فى ورقة ٢١٧ ا — ٢٣٢ ب .

ولهذا اعتمد أسين على مخطوط برلين .

(٤) تدبير المتوحد

نشره أسين بلاثيوس فى مدريد — غرناطة سنة ١٩٤٦ ضمن مطبوعات Consejo superior de investigaciones científicas, Instituto «Miguel Asín».

تحت عنوان El Régimen del Solitario, Por Avembuce, Edición y traducción de † Don Miguel Asín Palacios.

وقدم له بمقدمة فى ٩ — ١٨ ، وتلخيص ١٩ — ٣١ .

وترجم النص إلى الاسبانية من ٣٣ إلى ١٢٥

ونشر النص العربى تحت عنوان : « تدبير المتوحد لأبى بكر محمد بن يحيي ابن الصائغ بن باجة .

ويقع من ص ٣ إلى ٨٦ على الحين بترقيم خاص بالنص العربى .

(٥) كتاب النفس

نشره الدكتور محمد صغير حسن المعصومى ضمن « مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق » ، دمشق سنة ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م .

وقدم للنشرة بمقدمة من ٣ — ١٨

ونشر النص من ١٩ إلى ١٤٩ وعلق عليه بتعليقات .

ونشرته على أساس مخطوط أكسفورد رقم ٢٠٦ پوكوك Pocock 206 وعنوان هذه المجموعة المخطوطة هو : « مجموعة من كلام الشيخ الإمام العالم الكامل الفاضل الوزير أبى بكر محمد بن باجة الأندلسى رضى الله عنه » وعدد أوراقها المكتوبة ٢٢٢ ، وكل صفحة مقاس ٣$\frac{٣}{٤}$ y ٧$\frac{١}{٢}$ بوصة ، وتحتوى على ٢٧ وأحياناً ٣٢ سطراً .

وكاتب النسخة هو الأديب القاضى الحسن بن محمد بن محمد بن محمد بن النضر ، انتسخها بقوص فى شهر ربيع الآخر سنة ٥٤٧ هـ ، وقابلها بالنسخة الأصلية لابن الامام الذى قرأ نسخته على المصنف ، وتمت قراءته فى الخامس عشر من رمضان المبارك سنة ٥٣٠ هـ ، أى قبل موت ابن باجة بثلاث سنين .

ويقع كتاب النفس فى هذة المجموعة فى ٢٦ ورقة من ورقة ١٣٨ ب إلى ١٦٥ ا

(٦) فى الغاية الإنسانية

وفى عام ١٩٦٨ نشر الدكتور ماجد فخرى مجموعة من رسائل ابن باجة تحت عنوان عام هو : « رسائل ابن باجة الإلهية » (دار النهار للنشر ، بيروت — لبنان ، سنة ١٩٦٨ فى ١٩٩ ص) .

وفى هذه المجموعة أعاد نشر :

— تدبير المتوحد .

— رسالة الوداع .

— إتصال العقل بالإنسان .

مع مزيد من التصحيحات فى النص وبالاستناد إلى النشرات السابقة .

ونشر لأول مرة عن مخطوط بودلى فى أوكسفورد (رقم ٢٠٦ پوكوك) الرسائل التالية :

— فى الغاية الإنسانية (ص ٩٩ — ١٠٤) .

— قول له يتلو رسالة الوداع .

— فى الأمور التى يمكن بها الوقوف على العقل الفعال .

(٧) قول له يتلو رسالة الوداع

فى النشرة السابقة ص ١٤٧ — ١٥٢

(٨) فى الأمور التى يمكن بها الوقوف على العقل الفعال

فى النشرة السابقة ص ١٠٧ — ١٠٩

الرسائل التى ننشرها :

والرسائل التى ننشرها هى كل ما ورد فى مخطوط طشقند رقم ٢٣٨٥ ومن بينها اثنتان توجدان أيضاً فى مخطوط برلين رقم ٥٠٦٠ وهما :

— « فى الوحدة والواحد » (ورقة ١٨٢ ا — ١٨٣ ب فى مخطوط برلين) .

— « فى الفحص عن القوة النزوعية » (ورقة ١٨٤ ا — ١٩٠ ا فى مخطوط برلين) .

وأما الثالثة فينفرد بها مخطوط طشقند وهى رسالة فى «المتحرك» .

ولم يرد فى الثبت الذى أورده ابن أبى أصيبعة («عيون الأنباء» جـ ٢ ص ٦٣ — ٦٤) من أسماء هذه الرسائل غير اسم الرسالة الثانية تحت عنوان : «قول على القوة النزوعية» . ثم إنه أورد اسم رسالة أخرى بعنوان : «كلامه فى الفحص عن النفس النزوعية وكيف هى ، ولم تنزع ، وبماذا تنزع» ، وهو عنوان مشابه لعنوان رسالتنا هذه ، ولكننا لا نستطيع أن نقرر هل هما عنوانان لنفس الرسالة ، أو لرسالتين مختلفتين .

أما رسالة «فى الوحدة والواحد» فيشهد على صحة نسبتها إلى ابن باجة :

أولا : أنها نسبت إليه فى مخطوط برلين إلى جانب مخطوط طشقند ، وهما مخطوطان مستقلان .

ثانيـاً : أن لابن باجة كلاماً فى الوحدة والواحد فى مستهل رسالته «فى اتصال العقل بالإنسان» (ص ١٥٥ — ١٥٧ من نشرة ماجد فخرى ، بيروت سنة ١٩٦٨) يدل على اهتمام ابن باجة بهذه المسألة . وعلى الرغم من أنه لم يشر فى رسالة «اتصال العقـل بالإنسان» إلى رسالة «الوحدة والواحد» على عادته فى الإشارة إلى رسائله ، فإن هذا مرجعه فيما نرجح إلى أن رسالة «الوحدة والواحد» لاحقة فى التأليف على رسالة «فى اتصال العقل بالإنسان» . على أن التشابه ظاهر جداً بين كلامه فى رسالة «اتصال العقل بالانسان» عن الوحدة ، وبين بحثه فى رسالتنا هذه . وفى هذه الأخيرة يعتمد — كعادته دائمـاً — على أقوال أرسطوطاليس وأبى نصر الفارابى : الأول فى مقالة الدلتا من كتاب «ما بعد الطبيعة» (الفصل السادس) ؛ والثانى ، أعنى الفارابى ، فى رسالة له بعنوان : «كتاب الواحد والوحدة» ، ذكرها ابن أبى أصيبعة (جـ ٢ ص ١٣٩ القاهرة سنة ١٨٨٢) ، ومنها نسخة فى أياصوفيا باستنبول برقمى ٤٨٣٩ ، ٤٨٥٤

ورسالته « فى المتحرك » يشهد على صحتها أنها تشير دائماً إلى رسائل لابن باجة على أنها لنفس مؤلف رسالة فى المتحرك . فقد ورد فيها : « وقد بينا ذلك كله فى « سيرة المتوحد » » ؛ « وقد بينا فى « سيرة المتوحد» . . . » ؛ « وقد تبين من تلك الاقاويل فى « رسالة الوداع » تناسب الحركات ... » ؛ « وهذه أصناف قد لخصنا القول فيها فى « سيرة المتوحد » وتبيّن هناك... » الخ وكل هذا يقطع بأن مؤلف رسالة « فى المتحرك » هو بعينه مؤلف رسائل : « سيرة المتوحد » ، و « رسالة الوداع » ، أى ابن باجة .

وهكذا يثبت قطعاً صحة نسبة هذه الرسائل الثلاث — التى ننشرها هنا — إلى ابن باجّة .

[٣١٥ ب]

رسالة لأبى بكر محمد بن يحيى في المتحرك

قال أبو بكر محمد بن يحيى :

قد تبين فى « السماع الطبيعى » بالأقاويل التى تعطى اليقين أن كل حركة تكون عن أكثر من محرك[١] — وهى التى لا يتحرك فيها المتحرك بنفسه ، بل بغيره — فإنها منسوبة إلى المحرك الأول خاصة دون سائر المحركين . وذلك أيضاً بَيّنٌ قريب بنفسه . وهذه القضية الكلية الصادقة يعترف بها الجمهور عند أخذها فى موادها ، فلذلك يقولون : قتل الرشيد[٢] جعفراً ، كما يقولون : قتل المنصور أبا مسلم — وإن كان القاتل الأقرب لجعفر « مسروراً » أو من ائتمر له ، وقاتل أبى مسلم المنصور بيده ، ولا ينظرون إلى المحرك الأقرب ، ولا يحفلون به فى ذم أو حمد ، اللهم إلا فيما كان للأقرب فيه موقع من الاختيار ، فلذلك هو فى بعض الأمور يجرى مجرى الأول ؛ فإن الأول إنما يعتقد فيه أنه بهذه الصفة . فإنه قد تبين من الثامنة من « السماع » أن المحرك الأول على التحقيق هو محرك الحركة السرمدية ، لكنه بالإضافة إلى حركةٍ حركةٍ من الكائنة الفاسدة بالعرض ، لا بالذات . ولذلك يقال اللوم والحمد على ما حرك بالعَرض . ولذلك كان فى الشريعة عقابُ قاتل الخطأ غير عقاب قاتل العمد .

وأما الآلات فليس لها فى وجود تلك الحركة حَمدٌ أو ذم ، اللهم إلا فى بعض أحوالها . وسواء كانت المحركات المتوسطات أجساماً غير متنفسة أو أجساماً

---

(١) ط : تحرك .

(٢) الرشيد : هارون الرشيد . جعفر : جعفر البرمكى . المنصور : أبو جعفر المنصور الخليفة العباسى الثانى . أبا مسلم : أبو مسلم الخراسانى الذى قام بالدعوة للعباسيين . ومسرق : حاجب الرشيد .

متنفسة . ناطقة كانت ، أو غير ناطقة . وإن مَن ذَمَّ أو حَمِد المحرك القريب فهو كما يذكر أفلاطون فى الكلب أنه يعض الحجر الذى يُرْمى به ويترك الأمر ؛ اللهم إلا إن كانت الآلة المتنفسة بحيث يمكن أن يعتقد فيها أنها أول محرك . وهذا كله بين بنفسه ويقينى معروف موثوق به .

وظاهر أيضاً مما تبين هناك وتبين فى كتاب « الحيوان » وكتاب « النفس » و <ما> كتبناه نحن فى « رسالة الوداع[١] » وفى أقاويل لنا غيرها أن المحرك الأول فى الحيوان هو النفس . وهذا أيضاً إذا تأمله الناظر أدنى تأمل وضح له وتيقنه .

وقد تلخص فى الأقاويل التى كتبت « فى النفس » أن المحرك الأول للحيوان هو النفس النزوعية . وهما صنفان متقابلان لهما فعلان متقابلان : أحدهما لا اسم لجنسه ، فلنسميه على الاطلاق : المحبة ، ومنها يكون الطلب والامساك . وفى هذا الجنس تدخل [١٣١٦ ا] الشهوة الغذائية والغضب وسائر الأصناف الأخر . والصنف الثانى : الكراهة ، وبها يكون الهرب أو الترك ، وفيها يدخل الخوف والسأم والملال وما جانسه . وتبين هنـاك بالأقاويل اليقينية أن سبب هذه هى النفس الخيالية . وقد لخص هناك أصنافها . وهذه كلها توجد للانسان إذا كان حيواناً . ويختص الانسان بالحركة الاختيارية ، وهى التى تكون عن النطق وبها ينسب إلى الإنسان الخطأ والصواب ، وبها يحوز الصناعة .

وهذه أصنافٌ قد لخصنا القول فيها فى « سيرة المتوحد » وتبين هناك أن الحركة الإنسانية الخاصة بالانسان هى التى تكون عن الأمور التى توجبها الروية الصادقة ، وتبين[٢] هناك أن الروية إنمـا تكون ضرورةً نحو أمرٍ ما ، وأنها نحو غاية ما ، وهى الخير بالاطلاق ، فإن هذا الخير هو معشوق بالطبع محبوب

---

(١) « رسالة الوداع » فى « رسائل ابن باجة الفلسفية ص ١١٥ بيروت سنة ١٩٦٨

(٢) ط : بين .

للكل . فالحيوان البهيمى إذاً لم يعط النطق ، وهو الذى يعرف الخير بالإطلاق ، جعل له معرفة الخير مقترنة بالمواد ، وذلك بالحس وبالتوهم . فأما الانسان فإنه يعرف الخير من مؤلفه ويعلمه مجرداً . ولذلك متى اشتهى الانسان شيئاً أو كرهه ، ثم علم بوجه ما أن ذلك الشىء خير ، ترك ما اشتهى وطلب ما كره فى أكثر الأمر . فإن لم يفعل ذلك كان ذلك من فعله سفهاً وتعباً وضلالاً وما شاكل هذه الأصناف ، إذ لهذا الصنف اسم يعمها ، وكان فعله ذلك حيوانياً لا إنسانياً .

وقد بينا ذلك كله فى « سيرة المتوحد[١] » .

فالمحرك الأول على الإطلاق فى الإنسان هو النفس وأجزاؤها . وأما الجسد فهو مجموع الآلات ؛ وإن مجموع الآلة الطبيعية هو البدن . ولذلك الحيوان قد يموت ولم يعدم من جسده عضواً ، كما قد يغيب البخار ولا يعدم من آلاته آلة . غير أن الفعل لا يتم لها إذ المحرك الأول قد عدم .

وقد بينا فى « سيرة المتوحد » أن الإنسان يقال أولا فى المعرفة بالجنس : للجسد ، ولذلك يسمى الميت حيواناً باسم الجنس للجسد ، ونظن ذلك على طريق التواطؤ . ولهذا السبب تكرم جثث الموتى . ويقال ثانياً على النفس . ولهذا يقول سقراط قبل < وفاته > لمن حضره : فتكفلوا بى ، أو يظن على خلاف الكفالة التى تكفلت فى الحكام ، إلى سائر ما قاله فى هذا الفصل . فإن سقراط يقول : إن الذى فى موضعه عما قليل ليس بسقراط لكنه جثته ، وأما سقراط فإنه ذهب مبادراً مسرعاً .

وقد تبين من تلك الأقاويل فى رسالة « الوداع[٢] » تناسب المحركات التى

---

(١) الموضوع كله تناوله ابن باجة فى « تدبير المتوحد » دون إمكان تحديد مواضع يعينها فيه تناظر ما يقوله هنا . والأقرب إليها هو الفصل الثانى ص ٤٥ — ٤٨ في نشرة ماجد فخرى : «رسائل ابن باجة الإلهية» ، بيروت ١٩٦٨

(٢) راجع « رسائل ابن باجة الإلهية » ص ١٢٤ — ١٢٨

فى الإنسان . وإذ ذلك كذلك فظاهر أن الخير موجود بنفسه غير مائت ولا بالٍ ، وأنه معشوق فى الطبيعة ، وأن الحركة عنه وإليه هى أفضل الأمور الموجودة للانسان من جهة ما هو ذو جسد ، وأن حصوله أفضل الامور الموجودة للانسان بالإطلاق ، وأنه سواء عنه وجوده له — كان ذا بدنٍ ، أو غير ذى بدن . بل الأفضل له أن يكون غير ذى بدن ، اللهم إلا من جهة ما يحرك : فإنه لا يمكن أن يحرك أو يكون[1] ذا بدن . فإن البدن إنما كان له ليحصل له هذا الخير . فهو آلته التى بها يتحرك . فهو له كالسفينة التى بها يتحرك الملاحون . فإذا حصل ، كان عند ذلك البدن آلة بهـا يحرك غيره ، ولم يكن له فى وجوده الأخص أثر ، اللهم إلا فى وجوده محركا ، فإن كونه غاية وفاعلاً غير وجوده غاية . ولذلك متى ترك البدن كان غاية فقط . فإذا حصل من إنسان آخر فى هذه الرتبة ، كان عند ذلك هو جميع المتقدمين .

---

(١) أى : إلا إذا كان ذا بدن .

< فى الوحدة والواحد* >

يجب أن يُفحص عن الواحد وأصنافه ، وعلى كم نحوٍ يقال . فإن ذلك يدخل الشك فيما تبين فى المعقولات أنها واحدة . وإن أرسطو والفارابى قبل[(١)] وأخذ يبين ذلك ، وبالجملة فى الأجناس والأنواع ، فائدة القول فى هذا النحو . فإن محمول القضية قد ظهر إذا [(٢)] الارتياب الموجود فى النفس ، فهو النفس مما يكون[(٣)] بذلك فى هذا النحو يكون[(٣)] . وكذلك يجب أن يتحرر فى العلم الطبيعى عندما نبرهن فيه على الأنواع التى لها شخص واحد : إما الذى للشمس والقمر ، وإما يكون[(٣)] كالأرض : فإن الأرض إنما يوجد لها شخص واحد كلى ، وهى تعتبر[(٤)] بأجزائها ، وكذلك الهواء ؛ والأرض فى ذلك أشد تغليطاً ، فإن البيان على الكلى ، لا على الشخصى ، حتى لو كان للشمس مثلا أشخاص كثيرة لكانت تتحرك على خارج المركز ، فعند ذلك تكون المقدمات ذاتية . وإن أخذت على أنها ذلك الشخص لم تكن المقدمة ذاتية على هذا النحو ، وكانت علمية بالعَرَض . وعند ذلك يمكن أن تكون — بهذا — المقدماتُ ذاتية . وإن أخذت على أنها ذلك الشخص لم تكن المقدمة — سواء كانت أولى أو نتائج — باقية فى الحدود بالذات .

---

* لم يرد لهذه الرسالة عنوان فى مخطوطة طشقند هذه رقم ٢٣٨٥ ، بل تتابع الكلام دون تمييز هكذا : « جميع المتقدمين يجب أن يفحص عن الواحد . . . » فاختلط النص بنص الرسالة السابقة التى هى « فى المتحرك » .

(١) ط : ممل واحد نعسه ذلك وبالجملة .

(٢) بياض فى المخطوط .

(٣) ط : مكورى (!)

(٤) ط : نعس .

لخص : العدد هو المجتمع من الواحد ومن الكثير . وأعنى بقولى : « المجتمع » : المتقدم ، كما يقال : الحيوان يجتمع من المتغذى والحساس . وليس فى العدد معنى غير هذين . ونجد الأعداد إذا [٣١٦ ب] تكثرت وجد بذلك أمور كثيرة مختلفة : فأولها الزوج والفرد ، والجذر والمربع والمكعب ، وبالجملة فالمجتمع والمسطح والأول والمركب والمباين والمشارك والتام والناقص والزائد والمتحاب وسائر ما يلزم هذه . فقد يجب أن ننظر كيف لحقت هذه اللواحق المختلفة أجناسها لما تركب من معنيين . والواحد قد يكون شخصاً مشاراً إليه كزيد وعمرو وهذا البياض وتلك الاستدارة ؛ وقد يكون صوراً روحانية كالاسكندر وُتبع ؛ وقد يكون أنواعاً . وبالجملة فأمور معقولة كالخمسة والستة والإنسان والفرس وبذلك نقول إن القطوع ثلاثة ، وإن ذوات الأضلاع الأربعة خمسة أنواع . والواحد الموضوع للعدد الذى يجرى منه مجرى الهيولى فليس بواحد فى هذه ضرورة ، بل هو معنى الوحدة فى موضوع ، سواء كان هيولانياً أو روحانياً أو معقولاً ، لأن الوحدة هنا تقال فى موضوع ، اللهم إلا فيما وجوده أنه واحد . فإن برهن أن شيئاً بهذه الصفة دل فيه الوحدة على ما يدل الواحد . وظاهر أن ما هذه سبيله فليس موضوعاً لعدد ، إذ لا يستكثر . فإن التكثر إنما لحق الواحد من أجل الهيولى . فالواحد الموضوع للعدد فيه ضرورة أمرٍ يجرى مجرى الهيولى . وإذا كان الواحد يلحق المعقولات فالمعقول يجرى مجرى الهيولى .

وظاهر هنا أن الواحد يقال باشتراك — على المعقولات وعلى الموجودات الهيولانية . وقد تلخص فى غير هذا الموضع أن الواحد يقال على المعقول بتقديم ، وعلى الهيولى بتأخير ، لكن ليس فى الزمان . ويتبين هنا مما قلناه إذا نظر فيه أيسر نظر أن العدد يقال على الهيولانية بنحوى التقدم ، وعلى المعقولات بالتأخر وعلى طريق التشبيه . فلينظر فى اللاحق للمعقولات . فالواحد المعقول هو متقدم

من معقولين : أحدهما يجرى مجرى الهيولى ، والآخر يجرى مجرى الصورة . وهذا غير نوع مما يوجد فى العقل ، فإن العقل قد يكون موضوعاً ، فإن الموضوع والمحمول هذه حال أحدهما من الآخر ؛ فإن المحمول صورة الموضوع . وقد يكون ذلك المحمول موضوعاً كالحد الأوسط فى الشكل الأول . فما أحسن ما شبهه أرسطو بالخط المستقيم المنطوى بعضه على بعض ! وإلى هذا المعنى أشار أفلاطون عند محاكاته إياه بالدوائر اللولبية .

وإن نحن فرضنا أن ذلك يعرض فى كل معقول لزم من ذلك ما لا نهاية معاً فى الوجود ، وذلك محالٌ لا مزيد فيه . فإذا انتهى ضرورة إلى عقل لا يمكن أن يوضع فيقبل منه شىء ، بل إن عقل فذاته ، حتى يكون معنى عقل ومعقول فيه واحداً . فهذا هو الذى يلزمه القول إن هناك شيئاً أو عقلا وهو بهذه الصفة . وهذا القول رسم ، فإنه لا يتقدم ذلك المعنى بأنه لا يعقل منه غيره ، بل هذه كلها بسبب يلحقه وإعدام لسبب . والذى يظهر من القول أنه أخص به فهو الحد الذى يجرى مجرى نتيجة برهان ، وهو المقام مقام الجنس ، وهو المدلول عليه بقولنا : عقل . لكن هذا ليس بجنس ، بل هو إسم مشكك فإنه أخص من قولنا : شىء ، إذ « الشىء » يدل على الهيولانى وغير الهيولانى ، و « عقل » يدل على ما ليس بذى هيولى . فإذا بدل من هذا الموجود على جهته يمكن أن يتصور بها بنحو أخص .

فأما أى عقل هذا العقل ، وكيف لنا < أن > نتصوره التصور الأتم بحسب طباع الإنسان ، وهل تصوره الأكمل هو بحسب طباعنا أو بحسب طبيعته . فإن كان بحسب طبيعته فهو تصور تام من حيث هو موجود . وإن كان بحسب طباعنا كان التصور فى نفسه أتم ، إذ لا يمكن أن يكون أنقص فإنه ليس بذى هيولى : كالزمان والحركة والمكان وسائر الموجودات الناقصة . فأما هل تصور الموجودات الناقصة الوجود بحسب طباعنا أو بحسب طباعها ،

ففيه موضع فحص وعويصه . فأما الكاملة فقد لخص القول فيها أرسطو فى « ما بعد الطبيعة » ، وذكر ذلك مرسلا فى المقالة الأولى من كتابه « فى الفلسفة الأولى » . وقد ذكره أبو نصر[1] وغيره وأرشد إليه . وهذا القول جرت العادة أن يقال فى التصورات الناقصة ، إما لأنها ناقصة كذلك بطباعها ، أو لأنها كذلك من أجل طباعنا . فنقول إن المعقولات الأولى التى تفيدنا إياها الطبيعة من غير سعى لنا فى ذلك نعتمده ولا تفكير فهى المبادىء الأول فى الفكرة والروية ، وبها يسمى الجسم الموجودة فيه هذه « إنساناً » مطلقاً بتواطؤ ، فهى المقولات . فإن أى حيوان لم توجد فيه هذه إما اتفاقية بالقوة وهو كذلك بالطبع كالجنين ساعة يولد ، أو بالعرض كما حد أصناف المعنوى ، فإن ذينك ليس واحد منها إنساناً بالإطلاق ؛ فأن سمى « إنساناً » فعلى الجهة التى يسمى الجنين عند كمال الخلقة فى الرحم إنساناً ، وإنما هو إنسان متكون ، والآخر إنسان خارج عن الطبع . وتلخيص الجهة التى[2] يقال عليها تساؤلا وللانسان الطبيعى إنسان فيما نحن بسبيله فضل ، إذ ذلك غير عسير على من شاءه . [١٣١٧] فالمقولات هى تصورات لأمور موجودة فى أجسام محسوسة . فكل واحدة منها صورة مجردة عن الهيولى ، لكن لا تفيدها الطبيعة إلا مقترنة بموضوعها بها غير مجردة عنها وغير متصورة مكتفية بأنفسها ، كما نجد ذلك عند الصبى أول ما يعبر عما فى نفسه فيسأل ويجيب . فإنه إذا سئل عن محسوس واحد بعينه كم هو ، وأين هو ، وكيف هو ، ومتى كان — أجاب عن كل سؤال بواحدة من أنواع المقولات الخاصة بذلك السؤال أو أجناسها المتوسطة أو أى[3] شىء منها . ثم بعد هذا الحال تصير له حال أخرى ، وهى التى

---

(١) = الفارابى .
(٢) ط : الذى .
(٣) ط : أو أشىء منها .

تسمى الروية : تركب وتفصل وتفتش ؛ وبالجملة فهو فى الحالة الأولى الطبيعية إنما يسلك العقل عنده على خط مستقيم غير منقسم ، وكذلك ما لم تحصل له الروية النظرية أو من العملية الجزء الذى يشارك فيها النظرية . فإذا حدث له شىء من النظرية فقد قسم الخط بنصفين ، وثنى أحد النصفين على الآخر وعرج العقل فى سلوكه على دائرة إلى سلوكه على خط لولبى ؛ وهو عند ذلك يجعل العقل شيئاً ما موجوداً ، أو يقيمه مقام الموجودات الهيولانية ويكون العقل فى حال وضعه مؤلفاً من شيئين : المحمول ، وبه يصير معقولا ، وفى الحال التى بها صار موضوعاً . فإن الموضوع إن كان هو والمحمول واحداً من جميع الجهات لم يك ذلك محمولا وهذا موضوعاً ، ولا كان المؤلف منهما قضية . فلذلك لا يصدق ولا يكذب . وإنما يكونان اسمين مترادفين . وقد تلخص ذلك فى كتاب « الحروف[١] » .

المعقول يوجد موضوعاً بوجوه : أحدها غير ما يحمل عليه حده أو أجزاء حده التامة ، مثل قولنا : الكرسى جسمٌ من خشب صنع ليجلس عليه ؛ وقولنا : الكرسى جسم ؛ والثانى عندما تحمل عليه الأعراض ، كقولنا : الكرسى طويل أو عريض ؛ وعندما تحمل عليه الأحوال المنطقية كقولنا : الكرسى جنس متوسط ؛ أو عند ما نفحص عنه كيف وجوده المعقول ، لا كيف وجوده الهيولانى . فإن الفحص عن وجهه الهيولانى وهو وجوده فى أشخاصه ، يقف بنا على ما هو العقل بالفعل ، لأنه لا فرق عند ذلك بين وجود الكرسى وبين وجود الإنسان من حيث هما معقولان . وهناك وجوه أخر تعديدها فيما نحن بسبيله فضل لا يحتاج إليه . فلنقتصر من أصناف الحمل على هذه ، ولنفصل القول فيها ، فعند ذلك تظهر لنا الحال التى حاكاها أفلاطون بالسلوك على الدوائر اللولبية ، وأرسطو بانثناء الخط المستقيم .

---

(١) « كتاب الحروف » = « ما بعد الطبيعة » .

وجميع أنواع الحمل إذا أحصيت الإحصاء اللائق بهذا الفحص كانت إما حمل موجود فى مشار إليه على موجود مشار إليه كيف كان ، أو يستند إلى مشار إليه . وأقسامه :

ا — حمل الجنس والفصل على النوع .

ب — حمل الحد على النوع .

ج — حمل العرض على النوع .

د — الحمل من طريق ما هو على الشخص .

ه — الحمل من طريق ما هو على الشخص أو حمل ما ليس مشاراً إليه على ما ليس بمشار إليه ولا من جهة أنه فى مشار إليه ، بل من جهة ما تتنزل المعقولات بمنزلة الموجودات ، فيكون المعقول يجرى مجرى الشخص ؛ وذلك حمل الأحوال المنطقية على المعقولات الأول ، كقولنا : الحيوان : جنس ، والناطق : فصل . وهذا يدخل فى حمـل العرض على الشخص ، فليعد فى القسم الخامس . والثانى حمـل ما يجرى فى هذه من طريق أنها موجودات تتنزل منزلة الأشخاص . والدلالة على المعقولات من هذه الجهة غير معروف فى لسان العرب ، وأَحْرِ بأن يكون كذلك فى سائر الألسنة ، وهو فى طلبنا هذا المعنى الكلى الذى يحمله على كثيرين ، وهو ما يدل عليه بلفظ : إنسان ، أو فرس ما هو وما قوامه . فهو من جهة يعد فى القسم الثانى ، ومن جهة أخرى يليق أن يعد فى الرابع ؛ إلا أنه بالقسم الثانى أحرى وأليق . وبالجملة فليعد قسماً بنفسه من غير تقسيم .

[٣٤٣ ب]

مقالة لأبى بكر محمد بن يحيى في الفحص عن القوة النزوعية

ومن كلام أبى بكر محمد بن يحيى — رحمه الله — فى الفحص عن القوة النزوعية ، وكيف هى ، ولِمَ تنزع ، وبماذا تنزع :

والنفس النزوعية إما أن تكون جنساً لثلاث قوى : وهى النزوعية بالخيال ، وبها تكون التربية للأولاد والتحرك إلى أشخاص المساكن والإلف والعشق وما يجرى مجراه ؛ والنزوعية بالنفس المتوسطة ، وبها الغذاء والدثار ، وجميع الصنائع داخلة فى هذه . وهاتان مشتركتان للحيوان . <و> منها النزوعية التى تشعر بالنطق ، وبها يكون التعليم والتعلم : وهذه يختص بها الإنسان فقط . وإما أن يقال على هذه الثلاث بتقديم وتأخير .

وبين أن كل حيوان ساع فله النفس النزوعية المتوسطة ، وبها يشتاق الغذاء . وقد يوجد من الحيوان ما ليس له تشوق الخيالية . فتشوق النزوعية المتوسطة متقدم بالطبع للنزوعية الخيالية . وظاهر أن كل إنسان على المجرى الطبيعى فله هاتان القوتان . فهاتان القوتان تتقدمان النزوعية الناطقة بالطبع .

وقد تبين فى الثانية أن كل متحرك فله محرك ، ومحركه غيره ، وتلخص هناك أجناس المحرك : فالمحرك[1] قد يكون محركاً بالطبع ، وقد يكون خارجاً عن الطبع . أما المحرك بالطبع فكالنار ، وأما الخارج عن الطبع فكسهم المنجنيق . وكذلك المتحرك قد يتحرك خارجاً عن الطبع كالحجر إلى فوق ، وقد يتحرك بالطبع كالحار بالقوة والجاهل إلى العلم . والمتحرك بالطبع : إما من

---

(١) ط : والمحرك .

ذاته ، وهو ما كان محركه فيه ؛ وإما من غيره ، وهو ما كان محركه خارجاً عنه . وأعنى < بقولى : > فيه : أن يكون محركه به وجود [٣٤٤ ا] ذلك المتحرك من حيث هو ذلك النوع من الجواهر الجسمانية حتى يكون به قوام ذلك الجوهر ويكون داخلاً فى حده كالخيال والحيوان . وهذا قد يكون طبيعياً وبذاته ، وهو كأصناف الحيوان ؛ وقد يكون صناعياً كالماء فى المنكانه[1] ، والصناعى فهو داخل فيها بالعرض وخارج عن الطبع ؛ فهناك جرت العادة بتحديد وتلخيص القول فيه فى موضع آخر .

والمتحرك من ذاته فبين أنه مقوم من المحرك والمتحرك . فما كان غير مقوم من هذين فليس بمتحرك من ذاته ، مثال ذلك : الحجر ، فإن المحرك ليس فيه بذاته لكنه فيه من خارج عن ذاته وبالقسر ؛ فإن الذى للحجر بذاته فكونه أسفل ، وإذا كان كذلك فليس بمتحرك . فإذا كان فوق فوجوده إنما هو بقاسر يقسره . فإذا انتهى القاسر تحرك إلى أسفل . فلذلك يحتاج فى الحجر ضرورة إذا تحرك أن يكون أسفل بالقوة ، ولا يكون أسفل بالقوة إلا بأحد وجهين : أحدهما طبيعى ، وهو متى كان الحجر أرضاً بالقوة وهو متى كان بالفعل ناراً أو هواء أو ماء وكان فوق بالفعل وأسفل بالقوة . وهذه القوة فى النار من حيث هى نار بالطبع ، لأن للنار بذاتها أن تكون فوق بالفعل ، ويلزم أن تكون أسفل بالقوة من أجل الهيولى الأولى المشتركة . وقد تكون أسفل بالقوة : وهو إذا كانت أرضاً بالفعل فأمسكها ماسك فوق ، فهذه القوة للحجر ليست طبيعية لكنها بالطبع من أجل الهيولى المشتركة . وقد بين أبو

---

(١) من الكلمة الفارسية بنكان = Clepsydre ، وتكتب فى العربية أيضاً « بنكام » (راجع حاجى خليفة ج ٢ ص ٦٩ ، طبعة فلوجل) و « فنجان » ومكانة ، ومنكلة ، ومنعالة ، ومنقالة ، ومنقانة ، ومنجانه ، وهى « آلة تؤخذ بها الأوقات » ، وهى الساعة . راجع دوزى : « تكملة المعاجم العربية » ج ٢ ص ٦١٧ . وقد صنف ابن الهيثم « مقالة فى عمل البنكام » (ابن أبى أصيبعة ج ٢) .

نصر فى كتابه فى «الموجودات المتغيرة[١]» كيف يصير ما هو بالقوة الطبيعية أسفل أسفل[٢] بالفعل ، وكيف يتحرك ويحركه محرك ، فليؤخذ علم ذاك من هناك . فإذن الأرض تحتاج إلى المتحرك . فأما الأرض إذا تحركت إلى فوق فهى أسفل بالفعل ، وقوتها على فوق قوة طبيعية ، لكن لا على أنها حجر . فأما قوتهـا على فوق وهى حجر فهى لها بالطبع على وجه ما قد لخص فى غير هذا الموضع ، فيحتاج إلى محرك قاسر . فإذن ما كان له المتحرك والمحرك طبيعيين فهو يتحرك بذاته كحركة الحيوان المكانية ، لأن ذلك لا يمكن أن يكون إلا فى الحركة المكانية فقط . فأما الاستحالة فليس يجتمع المحرك والمتحرك فى شيء بالطبع . والفحص عن ذلك يليق بغير هذا الموضع كتحريك الصانع — مثال ذلك أن يكون الطبيب مريضاً : فهاهنا يجتمع المحرك والمتحرك ويتطبب المريض من ذاته ، لكن ليس ذلك بالذات بل بالاتفاق .

فيكن هذا ابتداء لمـا نريد أن نقوله فنقول : إنه من البين المقدور به أن الحجر إذا زال القاسر يتحرك إلى أسفل وكان هبوطه شافعاً لزوال القسر وزوال القاسر مبدأ . وقد تبين فى الثامنة أن مزيل القاسر محرك بوجه ما ، فإن الحجر إنما يتحرك العائق وبالثقل فى كلاهما محرك ، كان مبدأ الحركة كما تبين هنالك إنما هو من مزيل العائق ، وعند ذلك صار للحجر ما كان له أن يكون ، فإن الثقل ليس بمحرك بطبيعته ، إذ لو كان محركاً بطبيعته لكان له متحرك بالطبيعة ، والمتحرك عنه إنما هو بالقسر . ومن هنا تبين ما قاله أرسطو فى الثامنة أن الجمادات كلها ليس تفعل ، بل تنفعل . فأما كيف حرك الثقل الحجر فنحن نقول فيه . وقد تبين فى مواضع كثيرة أن الهيولى الأولى لا

---

(١) ذكره ابن أبى أصيبعة فى « عيون الأنباء فى طبقات الأطباء » ص ٦٠٨ س ٣ من أسفل طبعة بيروت سنة ١٩٦٥

(٢) مكررة فى المخطوط .

صورة لها ، ولا هى شىء موجود بالفعل أصلا ، وإنما وجودها أبداً بالقوة أحد المقولات العشر ، وهذا هو مرتبتها فى الموجودات ؛ وتبين أيضاً أن الوجود ينقسم إلى المقولات العشر ، وأن الجوهر الكائن الفاسد قوامه بهذا الموضع الذى هو الهيولى الأولى ؛ وبمعنى آخر هو به موجود ، وهو الصورة . فالهيولى يوجد فيها ضرورة أكثر من مقولة واحدة . فإنه ليس يمكن أن يوجد جوهر هيولى خلواً من أعراض كثيرة ، مثل أن يكون ذا كم ، وذا أين ، وذا كيف — إلى غير ذلك من أجناس المقولات العشر . لكن يتقدم فى الهيولى ضرورة أحد أنواع الجوهر . ولذلك يوجد فى الهيولى ما يوجد منها من أنواع المقولات التسع . وقوام ما فى المقولات إنما هو ما فى مقولة الجوهر . وما فى مقولة الجوهر يوجد فى حدود ما فى المقولات التسع . ولا يمكن أن يكون شىء ما من المقولات التسع وقوامه خلواً من الجوهر . وبهذا يفارق الجوهر الأعراض ، فإن الجوهر إنما هو أول معنى يوجد فى المادة الأولى ، والمادة الأولى إنما هى موجودة كما قلنا بأنها بالقوة ، وإنما هى بالقوة أحد أنواع الجوهر ؛ وكونها بالقوة أحد أنواع العرض إنما هو بأن يتقدم فيها فى الوجود أحد أنواع الجوهر . فالمادة الأولى هى بذاتها وجودها أولى أحد أنواع من حيث هى نار هى بالقوة أحد أنواع العرض من حيث هى جوهر ما ؛ وكذلك هى بالفعل أحد الجواهر بذاتها ، وهى أحد أنواع الأعراض من حيث هى جوهر ما ؛ وكذلك هى بالفعل أحد الجواهر بذاتها ؛ وهى أحد أنواع الأعراض بأنها جوهرٌ ما .

وقد يتشكك على هذا القول فيقال إنها لا تكون بالقوة جوهراً ما إلا وهى جوهر آخر ، لكن ذلك بالعرض لا بالذات ، لأن ما بالقوة ليس بمفارق للموجود بالفعل . فإنه لو كان ما بالقوة موجوداً بالفعل شيئاً — وهذا بيِّنٌ بنفسه عند من زاول الصناعة الطبيعية أيسر مزاولة فليكن على ما بالقوة ه ، وليكن بالقوة هو حـ أولا ، ويلزم حـ ك م ل ، فإذا ه بالقوة بالقوة حـ ك م ل على

ترتيب . فإذا صار بالفعل ح صار ك م ل [٣٤٤ ب] وسواء كانت الأعراض واحداً أو كثيراً ف ح إذن ليس يوجد فى ه أبداً بها ، بل أحد أسبابها ك فى ه ح ، وليس كذلك ح فإن ح يوجد فى ه من غير أن يتقدم فترة وجود آخر بالذات . فأما ان ه إذا كان بالقوة ح كان عند ذلك فى ه نوع آخر مجانس لـ ح فذلك بالعرض لا بالذات ، وليس ذلك النوع سبباً لوجود ح فى ه . فأما أن ه تحتاج فى كونها ح إلى سبب آخر وهو المحرك فذلك إنما هو لشخصٍ شخصٍ من أشخاص الجواهر لما كانت صورة الأشخاص متقابلة فى هيولى واحدة بالعدد ولم يمكن اجتماع المتقابلين معاً فى وقت واحد ، وهذا خارج عما قصدناه . فلتكن على الهيولى الأولى ه ، ولتكن ح أينــاً ما كأحد أنواع الفرق فى ك ليس يوجد فى ه دون سبب يتقدم وجوده فى ه ، وإلا فتكون الأعراض مفارقة للجوهر . فليكن على ذلك المعنى المتقدم ح فـ ن إن كان به قوام ح فـ ح فى ن على المجرى الطبيعى . وإن كان ليس قوامه به فـ ك فى ح خارج عن الطبع ، ووجوده فيه خارج عن الطبع قسراً أو غير ذلك ؛ ولأنه أينٌ فهو قسرٌ ضرورةً ، إذ أنواع الأين متقابلة وجنسها غير مفارق للجوهر ، بل يــلزمه التكافؤ بضرورة . وذلك بين لمن زاول هذه الصنــاعة أيسر مزاولة . فوجوده فيه إنما هو لعائق ، إذ ليس ك ومقابله فى المتقابلة[1] التى هى للموضوع بالسواء كالجلوس والقيــام لزيد . فإذا تتقدم ك فى ه وجودِ آخر ، وهو إما وجود آخر ، وإما نسبة العالم إليه ، وهو سبب على أنه جزء مما به قوام ك . فليكن على العائق ق . فـ ك يوجد فى ه مع وجود ح أو ق ضرورة . وليس يمكن أن يوجد ك فى ه دون ح أو ق ولا بالقول مثلا ، فكيف بالوجود . فإذا زال ح — وزوال ح إنمــا يكون ضرورة بتغير وقد يكون بالطبع وأسباب أخر ، فسيزول ك . فزوال ح إن زال ح دفعة تال هو دفعة . وإن زال شيئاً

---

(١) ط : المدالله .

شيئاً زال هو شيئاً شيئاً . فزوال ك مساو لزوال ح لأن ك فرضناه عرضاً طبيعياً ذاتياً . وقد يتفق أن زوال ك و ح باق . فإذا كان ك عرضاً فى ح بالعرض إن كان ك فى ه يتقدم وجود ق . فبزوال ق يزول ك . فإن كان ق يزول شيئاً فشيئاً فساوق زواله زوال ك ؛ وإن زال دفعة وذلك ممكن ففى ذلك الآن يلزم زوال ك . لكن إن كان شيء له ضد . فإن كان لا وسط بينهما زال ك دفعة ، وليكن على ضده ل أو لأن ك فرضناه فـ ح خارج عن الطبع . فإذن ل لـ ح بالطبع صار ك فى ح إذ لا وسط بين ك ، ل . ولا يخلو ح منهما كالواحد والكثير ، والزوج والفرد . وإن كان بينهما أوساط فبين أن ح هو بالقوة ل . فقد يمكن أن يتحرك ، لأن كل متحرك هو بالقوة ذلك الذى إليه يتحرك ، ففيه المتحرك . ولأن ما هو بالقوة ه هو بالفعل ك ، و ك منقسم ، فإذاً يجب ضرورةً أن يكون فى ه : ل . ويحتاج وجود شىء آخر يوجب ذلك كما قلنا وهو إما ه وإما ح . لكنه ليس ذلك ق فهو ح . فـ ح هو الذى يوجب له أن يكون فيه ك ، وبه يستأهل ه ك . فلذلك كان يلزم ضرورة أن يكون فى ه فى الآن . لكن لما كان ل ، ك متضادين ومنقسمين لم يكن ذلك فى الآن ، فكان فى زمان . فلذلك وجد جزء بعد جزء على اتصال ، دون أن يكون فى أحد الأجزاء أيين . وهذا هو الحركة . فإذن ح هو المحرك له على هذا الوجه .

وقد يسأل سائل فى ك ، ل إذا كانا لا أوسط بينهما متى صار ل فى ح ؟ فإن كان فى الآن الذى زال فيه ح ، و ح كان أبداً ك ، فقد صار ح هو ك ، ل معاً . وهما متضادان . وذلك لا يمكن . وإن كان فى آن آخر وكل آنين فبينهما زمان ، فقد كان ح خلواً من ك ، ل ؛ وصار بينهما وسط . وذلك كله خلاف ما فرض . فالقول فى هذا جزء من القول فى الحركة . وقد بين أن الحركة لا أجزاء لها فى السادسة من « السماع » . وتبين أن الآن

إنما هو المستقبل ، لا الماضى . فلنعرج عن القول فيه للناظر فى التغير ، إذ ليس ذلك من سبيلها فى هذا القول .

فقد تبين إذن كيف تحرك الحجارات ، وبالجملة فكل ما يتحرك إحدى الحركتين المتقابلتين بالذات . فأما الأجرام المستديمة فليس نجد فيها لحركة من حركاتها متقابلات . وقد تبين ذلك فى الأولى من كتابه « فى السماء والعالم » . وكل ما يتحرك حركة واحدة من الحركات المتقابلة فهو جسم طبيعى ، وصورته وهى جزء يقال لها طبيعة على الخصوص . وكل تغير فله مقابل واحد وأكثر من واحد : فقد يقابله السكون فقط ، مثال ذلك : التعلم ، فإن مقابله : البقاء على الجهل . وقد يقابله مع السكون تغير آخر كالصعود ، فإنه يقابل : اللبث أسفل ، ويقابله الهبوط ، وهو الحركة إلى أسفل . وقد يقابل الحركة الحركة على غير هذين الوجهين . وقد لخص ذلك فى الخامسة من « السماع » . فالحركة فى المكان ولها أطراف متقابلة : فهى الصعود والهبوط ، فهى لكل جسم هيولانى ، وهى أولا للاسطقسات ، ولكل واحدٍ منها واحد من أصناف هذه الحركة بالذات : كالهبوط للأرض ، والصعود للنار ؛ وهى لسائر الأجسام من أجلها ، لأن كل جسم هيولانى [١٣٤٥] فهو إما واحد منها أو مؤلف من أكثر من واحد — مثال ذلك : أجسام النبات والحيوانات ، فإنها مركبة من الأرض والماء ، والزيت والشمع فهو مركب منهما ومن الهواء والدخان ، والبخار : من الماء والأرض ، وقد لخص أصناف هذه أرسطو فى مواضع كثيرة .

وأما الأجسام الأخر التى لم تُعْطَ مبدءاً أكل من هذا من مبادىء وجود الاسطقسات بل مبادىء وجودها مجانسة لتلك ، فليس لها من حركة المكان بالذات إلا هذان الصنفان فقط كالذهب والشمع وأجسام النبات وأجسام الحيوان إذا فارقتها الأنفس كخشب العرعر وخشب الأبنوس . ولذلك توجد لها سائر الحركات بالعرض : إما خارجاً عن الطبع ، أو قسراً .

وأجناس الحركة المكانية ثلاثة : منها الجنس الذى طرفاه الصعود والهبوط . والثانى : الجنس الذى طرفاه التقدم والتأخر . والثالث : الجنس الذى طرفاه التيامن والتياسر . فهذه الأجناس الثلاثة هى أجناس حركة المكان البسيطة . فأما كل حركة غير هذه فهى مركبة مثل حركة الوارد . فأما حركات الاستدارة للحيوان فإنما هى حركة على شكل كثير الزوايا وتكون مركبة على جهة التشافع والامتزاج . وتلخيص ذلك خارج عما نحن بسبيله .

والحركة فى المكان تسمى فى لغة العرب بعض أصنافها « النقلة » ، وهى الحركة الارادية . وربما قيلت فى الحين بعد الحين فى كل صنف من أصنافها نقلة . فلنطلق نحن عليها الانتقال . فالانتقال ما كان منه فى الفوق والأسفل فقد قلنا فيه . وأما الجنسان الآخران فإنهما يوجدان للحيوان خاصة . وليس يوجد صنف صنفٌ منها لصنف صنفٍ من الحيوان ، كما وجدت أصناف الانتقال للاسطقسات ، بل يوجد المتقابلان بالسواء للحيوان الواحد بعينه بالعدد ، لكن لا كل حين من الزمان . والسبب فى اختلاف ذلك هو أن الفوق والأسفل محدودان بالطبع : فإن الأسفل هو المركز ، والفوق مقعر فلك القمر أو جسم آخر دونه . ولا يمكن فى المركز أن يكون فوق ، ولا فى مقعر فلك القمر أن يكون أسفل ، فإن ماهيتهما تقتضيان ذلك . فأما اليمين فليس بمحدود فى ذاته ، فإن وجود المكان يميناً إنما بالإضافة إلى المتحرك ، وبذلك يكون المكان الواحد منهما يميناً لواحد ويساراً لآخر فى آن واحد ، ويكون يميناً ويساراً لحيوان واحد بالعدد ، لكن فى زمانين لا فى زمان واحد . وكل حيوان فهو ذو جسم متميز الجهات . وكل ذى جسم متميز الجهات فالمكان الأول الذى هو فيه إضافات متميزة إلى الأمكنة الأخر . ولكل نوع من أنواع الحيوان أنواعٌ من المكان طبيعية له ، مثال ذلك : الطائر ، له أمكنة فى الهواء طبيعية ، وأمكنة فى الأرض . وقد توجد له أمكنة فى الماء . وقد لخص ذلك

أرسطو فى كتاب « الحيوان » . فأما : هل أمكنته فى الهواء مشابهةٌ لأمكنته فى المادة ، أو لا ، فتلخيص ذلك لائق بالقول فى حركات الحيوان المكانية ، فقد وقفنا هذا القول على وجود المتحرك فى الحيوان بالطبع ...(١) ... الا وهو حيوان لأن كل حيوان فهو ذو جسم متميز الجهات فأمكنته متميزة الإضافات بعضها إلى بعض ، هذا للحيوان من جهة ما هو حيوان . وأكمل الحيوان تميز جهات فهو الإنسان ، لأن جهات كل جسم مستقيم : ست . وأما النبات فقد تميز فيه الفوق والأسفل ، لكن بخلاف وضع العالم . وسنقول فيه بعد هذا . وأما الحيوان غير الناطق فقد تميز فى الساعى منه : الأمام والخلف . وإن ذوات الأصداف ليست ساعية ، وتميز فى أكثر هذه : اليمين واليسار . فأما الفوق والأسفل فلم يتميز فيه أن الجهات مستديرة ولا قوائم لها . وأيضاً فإن وضع واضعٌ أسفل الحيوان قوائمه كأن فوقه هو ظهره ، والظهر فى الإنسان هو وراؤه . والإنسان بين جميع الموجودات الهيولانية تميزت فيه الجهات كلها : فإن أمامه متميز من ورائه ، وفوقه من أسفله ، ويمينه من يساره . وهذه الأجناس — أعنى أجناس الحركة المكانية — قد تكون بإرادة الحيوان ، وقد تكون له بالضرورة . أما بالضرورة كهبوط المتردى من علو ، فإن هذا أحد أصناف ما يقال بالضرورة . وقد تلخص ذلك فى علم الأخلاق ، ونقل المريض من مضجعه . وقد يكون بإرادة : كحركة الإنسان إلى السوق . فأما حركة الضرورة من غير الجنس الأول فقد يكون المحرك للحيوان خارجاً عنه . وقد يكون فى الجنس الأول ، مثل نقل المريض من البيت إلى الشرفة(٢) . وأمكنة الحيوان فإنها مع تحديدها بالإضافة إليه فلا بد لكل مكان من تحديده ، فإن الركن مكان حددته الصناعة ، والمقبض مكان تحدد بالقبض .

وتلخيص أصناف أمكنة الحيوان لائقة بالقول فى الحركات المكانية .

---

(١) بياض فى ط .
(٢) ط : المشرق .

[٣٤٥ب]

<رسالة في القوة النزوعية>

ومن* قوله رحمه الله فى القوة النزوعية :

العادة إنما توجد للانسان بالنفس النزوعية . فإن الذى يقبل العادة ، وهو الجزء النزوعى والجزء العادى . والعادة أصناف يقال عليها العادة بتشكيك(١) . فيجب أن نحصى(٢) الأشياء التى تقال(٣) عليها العادة ونلخص بعضها من بعض حتى تتميز :

الخشوع : ومقابله لا اسم له فى العربية ، فليسَمَّ الاستهانة . والخشوع إنما(٤) يكون بالعادة ، وقد يكون بالطبيعة . فالذى يكون بالطبيعة هو الخشوع

---

* وفى الهامش العنوان : « وأيضاً كلام لأبى بكر محمد بن يحيى فى القوة النزوعية » .

(١) « التشكيك عند المنطقيين : كون اللفظ موضوعاً لأمر عام مشترك بين الأفراد ، لا على السواء بل على التفاوت . وذلك اللفظ يسمى مشككاً بكسر الكاف المشددة . ويقابله : التواطؤ ، وهو كون اللفظ موضوعاً لأمر عام بين الأفراد على السواء . وذلك اللفظ يسمى متوطئاً . ثم التشكيك قد يكون بالتقدم والتأخر ، بأن يكون حصول معناه فى بعض الأفراد متقدماً بالذات على حصوله فى البعص الآخر ، كالوجود : فإن حصوله فى الواجب قبل حصوله فى الممكن قبلية ذاتية لأنه مبدأ لما عداه . ولا عبرة بالتقدم الزماني فى باب التشكيك . . . وقد يكون بالأولوية وعدمها ، كالوجود أيضاً فإنه فى الواجب أتم وأثبت وأقوى منه فى الممكن . والفرق بين هذا والأول أن المتأخر قد يكون أثبت وأقوى من المتقدم ، فإن الوجود فى الأجسام الكائنة الحادثة فى عالمنا هذا أثبت وأقوى منه فى الحركة الفلكية المتقدمة عليها تقدماً بالذات . — وقد يكون — أى التشكيك — بالشدة والضعف ، كالبياض فإنه فى الثلج أشد منه فى العاج ، إذ تفريق البصر فى الثلج أكثر وأكمل منه فى العاج » . (« كشاف اصطلاحات الفنون » للتهانوى ، جـ ١ ص ٧٨٠—٧٨١ ، طبع كلكته سنة ١٨٦٢) .

(٢) ط : يحص .

(٣) ط : يعدل (!) .

(٤) ط : بما .

للكمال من جهة أنه كمال ، والاستهانة بالنقص من جهة أنه نقص ممكن لما كان الكمال والنقص ليسا بذاتهما موجودين بل إنهما حالان لحقتا الأمور فكأنهما جنسان ، فلذلك إنما يوجدان فى موضوعاتهما . فكل كمال فيجب أن نخشع له . وهذه قضية أولى معترف بها عند الجميع . وأما أن هذا أو ذاك كمال — فذلك مما يحتاج إلى تبيين . فقد يكون أمرٌ ما عند قوم كمالا ، وعند آخرين نقصاً . وذلك بين لمن تصفح الشرائع المختلفة والآراء والسُّنن . وقد يكون شيء كمالا عند شيء ، ونقصاً عند شيء آخر . وهذا الكمال بالإضافة . وهذه قد تكون وقتاً ما كمالا ، ووقتاً غير كمال . لكن هذا ليس يقال له كمال ، بل يطلق عليه اسم الخير . فإن الخيرات إما أن تكون مرادفة للكمال ، أو أعم منه . فالأشياء التى هى كمال قد تكون بالوضع والشرع فتكون فى بعضها الآراء المكتوبة والآراء غير المكتوبة تشتمل على الكمال بالوضع ، فتكون عند قوم ما وعلى الكمال المشهور فتكون عند الجميع . وما بالوضع فمختلف : فما كان كمالا عند قوم لا يكون كمالا عند آخرين . فلذلك مَنْ نشأ فى قوم ما تخشع نفوسهم لأمور يستهين بها آخرون . فلذلك إذا كان ما هو كمال فى الوجود ، وكان إنسان ما فى قوم قد اعتاد أن لا تخشع نفسه لذلك الذى هو كمال ، ثم تبين له أن ذلك الأمر كمال ، لم تخشع له نفسه ، ولا أكرمه ، ولا رأى أنه حصل له شيء ، فيكون ذلك العلم عند ذلك الإنسان مطرحاً لا يحفل به إلا من لزومه عن القول ، كما أن المرضى يحسون المُرَّ حلواً ، ويرون الواحد اثنين ، كذلك مرضى النفوس يرون الكمال نقصاً ويرون النقص كمالا . وكما أنه لا سبيل لهؤلاء المرضى إلى أن يحسّوا الحلو حلواً حتى يصحوا ، كذلك مرضى النفوس لا يمكنهم أن يروا الخير خيراً حتى تصح أنفسهم . وكما أن بين المرضى من يحسّ الحلو مراً ويقضى عليه أنه مر ، ومنهم من يحس أنه مر ويعلم أنه حلو أو يقضى أن الآفة عنده ، فواجب عليه مع أنه لا يستهينه أن يطرحه ،

والثانى لا يستهينه فقط . وكلاهما لا يعقلان عن الحلو ما شأنه أن يعقل عنه . كذلك مرضى النفوس يلحقهم هذا بعينــه فلا يعلمون عن الخير ولا يحركهم الخير ، ولا تكون الصورة الروحانية للأشياء[1] التى هى خير تحرك هؤلاء أصلاً ، وإن حركتهم فإلى الهرب عن أهل السير المشهورة والموجود فى سنى الستمائة[2] للهجرة من تاريخ العرب ، وكلها تودع فى النفوس أمراضاً ، فلذلك لا يعرفون الكمال المتبرى عن القوة ، وإنما يعرفون السكون . وهو إذا كان بالقوة محضاً . وهذا يقترن به التشوق بهم ، لذلك يشعرون به لأن التشوق ألم ، ويعرفون من الكمال ما يقترن به الحركة ، لأن اللذة عند ذلك تكون . فإذا حصل الكمال وتم لم يشعروا به . وكذلك لا يشعر الصحيح بصحته ، ولا يرى أنه أعطى شيئــاً له قدر ، ويشعر المرضى بها ، ويرونها أعظم المدركات إذ كانوا بالقوة أصحاء . والشعور بالسكون الكمالى — إن جاز أن يقال له سكون ، لأنه سكون لا تقترن به قوة حركة ، فلذلك السكون أمرٌ فاضلٌ جداً ، فيجب أن يرتاض فى الشعور به حتى يحصل ملكة . وهذا النوع إذا حصل ملكة كان له عناء فى وجود الإنسان عظيم القدر جداً . وهذا ممـا يجب أن يتقدم فيوضع قبل القول فى السعادة القصوى .

كما أنا قلنا فى الانفعال ، فكذلك يجب أن نفحص فنحصى على كم وجه يقال إن الفاعل يفعل ، وكيف نحس الجزء النزوعى بالفعل ، فإن النفس النزوعية تنفعل ، وإنما نفعل لا بالنفس النزوعية بل بجزء آخر هو بالفعل ، لأن النزوعى بالقوة فقط . فقد يظن أن القول فيها لم ينقض فى « الكون والفساد » ، كما عرض ذلك فى اليمين فإن أرسطو إنما تكلم عنه فى « الآثار العلوية » فيما يلحق

(١) ط : الأشياء .
(٢) ط : شنى السب عانه للهجره من تاريخ .

البحر الكائن عن الاسطقسات ، ولذلك قال فى « يه[١] » من الحيوان أن القول فى اليمين لم ينقض وكل منفعل ، بل كل متحرك فهو بالفعل [١٣٤٦] شىء آخر . فإنه لو لم يكن بالفعل شيئاً أصلا ، لكانت القوة شيئاً موجوداً بالفعل ، ولكان للهيولى الأولى ضرورة ، وكان الإمكان قائماً بنفسه وشيئاً قائماً بذاته . وهذا ظاهر لمن زاول الصناعة الطبيعية أيسر مزاولة . والمتحرك هو جوهر ما ، بل هو جسم ما ، لأن كل متحرك منقسم ؛ لكن ذلك هو للحركة بجهة متوسطة بين ما بالذات وما بالعرض . وأرسطو يعد ذلك فيما بالعرض . فإنه إن كان بالذات بوجه ما ، فليس أولاً . والمحرك بالقوة شىء ما بالذات وأولا . وهو يتحرك من جهة ما هو بالقوة حتى لو وجد ما بالقوة شيئاً مفارقاً للأجسام يتحرك بنفسه وصار ذلك الشىء إما جوهراً أو كما أو كيفاً أو أيناً أو غير ذلك من المقولات . لكن ما بالقوة يلزمه اضطراراً — كما قلناه — أن يكون شيئاً ما بالفعل . وقد قلنا إنه شىء آخر بالقوة . فهو إذن بالفعل أحد المقولات ، وهو بالقوة أحد المقولات . فليكن ما بالقوة ق ، وليكن بالفعل ح ، وبالقول ك . وبين لمن مارس العلم الطباعى أيسر ممارسة أن ما بالقوة من جهة ما هو بالقوة ليس تحت مقولة ، فإن كل ما تحت مقولة

---

(١) أى المقالة الخامسة عشرة من « الحيوان » . وقد تكلم أرسطو على اليمين فى كتاب «أجزاء الحيوان» ص ٦٤٨ ا س ١٠ ، ص ٦٦٥ ا س ٢٠ (فى أنه أسمى من اليسار) ؛ وص ٦٦٧ ا س ١ ، ص ٦٧٠ ب س ١٥ (فى أنه أكثر حرارته من اليسار) ؛ وص ٢٧١ ب س ٣٠ (فى أنه أقوى وأكثر تقدماً من اليسار) ؛ وص ٦٧٢ ا س ٢٥ (فى أنه أشد صلابة وأليق للحركة من اليسار) ؛ وص ٦٧١ ب س ٣٠ (فى أن الحركة تبدأ من اليمين) ؛ وص ٦٨٤ ا س ٢٥ (فى أنه أفضل استعمالا فى العادة) .

كما تكلم عن اليمين أيضاً فى « مشى الحيوان » : فى ص ٧٠٥ ب س ١٥ (أنه يتمين بحسب الوظيفة) ؛ وص ٧٠٧ ب س ٥ (يتوقف على التمييز إلى اثنين) ؛ وص ٧٠٥ ب س ١٥ (على أنه مصدر الحركة) ؛ وص ٧٠٥ ب س ٣٠ ، وص ٧٠٦ ا س ١ (أنه يثبت بالتجربة) ؛ وص ٧٠٦ ا س ١٠ (أنه واحد فى كل الحيوان) ؛ وكذلك فى صفحات : ٧٠٧ ب س ١٥ ، ٧١٤ ب س ١٥ ، ٧١٤ ب س ٥

— أى مقولة كانت — فهو موجود بالفعل . والمقولات إذاً تقابل بالقوة كما يقابلها ما بالفعل ف ح ، ك اذا كانا تحت مقولة واحدة ف ح ، ك نوعان متقابلان . كانا جوهرين فلا اسم لهما ، لكن قد يسميهما أرسطو وأبو نصر < الفارابى > عند الحاجة إلى ذلك متضادين . إلا أن المتضادين يحتاجان إلى موضوع واحد بالفعل . وليس لهذين موضوع بالفعل . وإن كانا تحت أحد المقولات التسع مما بالقوة موجود ضرورة جو اً فله وجود ثالث هو به موضوع ل ح ، ك . ف ح ، ل إن كانا تحت الكم فهما أكبر شبهاً للمتضادين من الصنف الأول . ولذلك يقال فى النمو إنه حركة ، وإنه تغيير أكثر مما يقال فى السكون . وقد شابه أنواع الكم المتضادان فى نحوين : أحدهما أنها أنواع تقترن بها أعدام مجانساتها ، كما وجد ذلك فى صورة الجواهر . والثانى أن لها موضوعات موجوة بالفعل قابلة لأنواع الكم . وليس لأنواع الجوهر موضوعات ، بل هى الموضوعات ؛ بل إن قيل للمحرك موضوعات فبطريق التشكك . وإنما فارقت المتضادات فى أن ليس لأنواع الكم طرفان محدودان ينطق عنهما ، فإن أعظم الكلاب لا يمكن أن يكون له عِظَم الفيل ، وأصغرها لا يمكن أن يكون فى عظم نملة . فأنواع عظم الجواهر كثيرة مختلفة ، وأطرافها غير محدودة إلا أن يكون بالإضافة إليها فيعرض لها تضاد ، كما يعرض لأطراف المزاج فى الكيفية . وقد لخص ذلك فى «المزاج[١]» فأما ح ، ك إن كانا كيفين وكانا تحت واحد من أجناس الكيفية الأربعة فلهما موضوع موجود بالفعل . ويقترن بكل واحد من أنواع ذلك الجنس عدمٌ مجانس[٢] له وفيهما نوعان هما طرفان لا بالاضافة بل بالإطلاق . ولا يمكن أن يوجد نوع أبعد

---

(١) أى فى رسالة فى « المزاج » وس رقم ٤ فى المجموعة المخطوطة ببرلين برقم ٥٠٦٠ فى فهرست القرت .

(٢) ط : مجانساته .

من ذلك الطرف فى مقابله ، وليس كذلك فيما هو كم . فليكن أصغر عِظَم وهو الكلب مثلا عليه ا ، وأعظم عظم عليه ر فما بما يوجد فى ا أو ب ، حـ ، ر . فكل نوع من الكم يوجد فى الكلب فهو أقرب من ر من عظم ا من د ؛ وليس يوجد عظم أبعد من ا من د . لو وجد ذلك لكان أصغر من ر ، وليكن هـ . فعظم ر أقرب إلى ا من هـ . فـ د ليس طرفاً فى م إلا إذا كان م هو كلياً ، فهو نوع من الجوهر . فعظما ا ، ك ليسا طرفين بالإضافة على التحقيق وبالذات إلى الموضوع الأول الذى هو بالقوة وهو الهيولى ، بل يجرى مجراها ، لأن جزءاً من أجزائه هو هيولى . و ا ، حـ ليسا طرفين مما هما أو نيل من جهة إضافة لحقتهما . فليسا إذن طرفين فى الوجود . فإن كل شىء يوجد له أمر ما من جهة ما هو ذلك الشىء فهو له فى الوجود . وما كان يوجد له وهو بحال ما ، وكان ذلك الشىء يوجد لشىء آخر ليس له تلك الحال ، فليس يقال إنه كذلك فى الوجود . بل إن كان له فى الوجود فعلى طريق التشبيه . وأيضاً فإن حـ ، ك إن كانا ليسا تحت مقولة واحدة فيمكن فيه ضرورة أن يكون حـ ، ك ، وإلا كان عندياً ولم يكن شيئاً موجوداً . فإن كان لا يمكن ذلك فليس ك ، حـ أحدهما موضوع للآخر ، إلا كما يقال إن النيّر بالقوة بارد ، لأن النيّر يلزم الحار من النار . وتلخيص هذه الأصناف وإحصاؤها سهل لمن أراد ذلك ، ونحن نكتفى بهذا التلخيص على طريق الرسم .

فالمتقابلات كلها ، إذا كانت فى موضوعاتها ، فيلزمها ضرورة فيها أعدام متقابلاتها . والأعدام أصناف : فمنها عدم الجوهر ، وعدم الكم ، وعدم الكيف . ولست أقول إن الجوهر يعدم أصلا ، ولا الكم . فإن كان شىء ما ليس بكم كالعقل ، فإن هذا سلب وليس بعدم . وقد [٣٤٦ ب] لخص أبو نصر النحو الذى به يقال له عدم . والعدم ينسب إلى المقولة على نحوين : منها سلبها ، كقولنا : السماء لا ثقيلة ولا خفيفة ؛ ومنها رفع سلب نوعٍ نوعٍ منها عن

موضوع يمكن أن يوجد فيه ذلك النوع . وهذا أحق باسم العدم من الأول .
ثم يقال بعد ذلك على أنحاء ، أحقها كلها باسم العدم : العدمُ الذى لخص فى
المتقابلات فى كتاب « قاطاغورياس » . وهذا النحو الثانى الذى ذكرناه هو
الذي يذكره أبو نصر < الفارابى > ويقول : أرسطو يعد عدم كل مقولة
فيها : فعدم الجوهر فى مقولة الجوهر ، وعدم الكم فى مقولة الكم .

وبيِّنٌ بأيسر تأمل لمن زاول الصناعة الطبيعية أن المـادة الأولى لا يمكن
فيها أن تعرى من بعض المقولات حتى لا يكون فيها نوع واحد منها . فأول
ذلك : الجوهر . وذلك مما تبين فى الأولى من « السماع » < الطبيعى > ،
إذ لو عريت عنه لكانت المـادة الأولى ذات صورة . ويليه الكم ، فإنه ولا
جوهر واحداً هو — لانى ليس بجسم . فما أبعد ممن ألف العظم مما لا ينقسم !
فإنه إن كان كذلك وُجد جوهر لا كم له . وهذا محال . وقد تبين فى أول
السادسة من « السماع » وبُيِّن أكثر بياناً عند التأمل . ويجب أن تعلم أن
العظم يقال على المستدير والمستقيم بتشكيك ، وأن العظم المستدير ما كان له
مركز . وقد لخصنا فى تفسير معانى السابعة من « السماع » < الطبيعى > .
ثم بعد ذلك فى الهيولى جنس الكيف الانفعالى : كالحرارة ، والـبرودة ،
والرطوبة واليبوسة . ولذلك كل جوهر هيولانى فهو جسم . والجسم يقـال
بتشكيك على المتحرك باستدارة ، وعلى المتحرك باستقـامة ؛ وهيولاهما ليست
واحدة بالنوع كما صورها ، بل تتناسب تناسب الصور والمادة التى تقبل الحركة
على الاستقامة هى الهيولى على التقديم . فأما التى تقبل الحركة المستديرة فهى
أبداً موضوع وليست بهيولى ولا مادة . بل إنما يقال لها هيولى ومادة بالمناسبة
كما يقال لهذه موضوع بالشبه والمنـاسبة . فالهيولى الأول لا تخـلو من جنس
الكيفية الانفعالية ، ولا يمكن تعرّيها منها . ولذلك إذا أراد أرسطو أن يدل
على جميعها يقول : كل جسم ملموس . وكذلك كيفية الكم الذى هو الشكل

والصورة . وكذلك الأين . وكذلك الوضع . وكذلك المتى . وكذلك الإضافة . فهذه المقولات التسع بين من أمرها أن الهيولى الأولى لا تعرى منها ، لكن بعضها أبين من بعض .

فأما الفعل والانفعال فقد تشكك فيه . لكن إذا تُعُقِّب أمره ظهر أنه كذلك . فأما مقولة «له[1]» فإنها توجد لذى النفس ؛ وقد يوجد فى الجمادات ما يظن به أنه « له » ، غير أنه إذا تعقب أمره ظهر أنه ليس تحت هذه المقولة .

وكذلك اللون : فقد يظن ببعض الأجسام أنها غير ذات لون ، كالهواء والزجاج ، وأبين من ذلك : الطعوم والروائح[2] فإن موضوعها قد لا يخلو من جميع أنواعها . لكن وإن كان ذلك فليست هذه موجودة للجوهر بذاته أولا ، بل إنما توجد ثانياً وبعد أن تتقدمها فى الموضوع موجودات شتى تحت[3] مقولة أخرى . وكأن هذه ، وإن لم تكن أنواعاً لتلك ، فهى كالأنواع ، مثال ذلك : الطعوم ، فإنها وإن لم تكن أنواعاً للحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فليست خارجة عنها ، لأنها حرارة لحقها أمر آخر ، صارت به[4] تلك الحرارة نوعاً لجنس آخر كما عرض فى القول فى الأكر المتحركة : فإن النظر فيها ليس هندسياً متأتياً للنظر الهندسى ، بل هو واقع تحت النظر الهندسى . وقد لخصنا ذلك فى أقاويلنا « فى النفس » .

وقد تلخص ما قلناه على نحو آخر ، وهو أن كل جسم فهو مؤلف من صورة وموضوع . وموضوع الأجسام السرمدية يخص بالموضوع . وموضوع الكائن الفاسد يقال له هيولى ومادة وما شاكل هذه الأشياء . وكل جسم

---

(١) أى مقولة الملك .
(٢) ط : والموبعات .
(٣) ط : محدوله (!)
(٤) ط : بها .

فاسد فهو اسطقس أو مؤلف من اسطقسين فزائداً . وكل مركب من أشياء ففيه ما لتلك الأشياء . فالأشياء اللازمة للاسطقسات هى لازمة لكل جسم هيولانى . والأشياء اللازمة للاسطقسات من المقولات هى أنها جواهر ، وأنها ذوات أعظام ، وأنها ذوات كيفيات انفعالية ، وأنها ذوات أوضاع وأيون[١] ، وأن لهامتى ، وأنها مضافات ، وأنها تفعل وتنفعل . وكل جسم ففيه هذه الأجناس من مقولات ضرورة . وأما سائر ما يوجد للأجسام الهيولانية فهى راجعة إلى هذه — مثال ذلك : الخشونة والقحل[٢] ، والصلابة واللين ، والملاسة . فأما سائر ما يوجد للأجسام الهيولانية فهى راجعة إلى هذه . مثال ذلك < . . . >[٣] فإنها ضروب من الرطوبة واليبوسة . فإن اليبوسة إذا لحقها عارض صارت خشونة وقحلا . ومن الرطوبة تكون الملاسة واللين . وقد ذكر أرسطو فى الثانية من « الكون والفساد » وكذلك الطعم والرائحة ، فإن هذين الجنسين فيهما الرطوبة واليبوسة كالهيولى . وأما الألوان فالقول فيها قول آخر . وإذا تعقب الأمر فيها ظهر أن هذا الجنس يوجد للاسطقسات . واستقصاء ذلك فى غير هذا الموضع .

وقد بين فى السابعة من « السماع » أن الاستحالة إنما تكون فى المحسوسات . فليقف من شاء على ذلك من كلام أرسطو هنالك ، ومما قاله المفسرون فيه . فالفعل والانفعال إنما هما فى الكيفيات الأولى ، وهى التى بها يكون الكون والفساد ، وهى الأربعة ، وقد عُددت فى مواضع كثيرة . وقد بينا نحن فى مواضع غير هذه أن القوى تقال باشتراك على : المنفعلة وعلى الفاعلة ، ورسمنا كل واحد من هذين الجنسين . فالقوى الفاعلة هى ضرورة

---

(١) جمع أين ، أى مكان .

(٢) قحل الشىء : يبس . ويقال قحل الشيخ : يبس جلده .

(٣) نقص وردت فى المخطوط علامة تدل عليه .

[١٣٤٧] موجودة ، وإنها تقترن بموجود بالقوة المنفعلة تصير ضرورة موجوداً وتصير شيئاً ما مشاراً إليه ، بعد أن كانت غير موجودة ، لكنها تقترن بموجود والحركة فى المكان تناسب الانفعال ، ولا فرق بينهما فيما نريد أن نقوله .

وكل متحرك فله محرك ، وكل منفعل فله فاعل . والحركة فى المكان إنما تنسب إلى الحيوان خاصة ، وإلى الأجسام المستديرة . فلنترك القول فيما يخص المستديرة فإنه ليس تنسب لنا هذه . والحيوان إنما يقال إنه متحرك بذاته ومن ذاته فى المكان خاصة ، وذلك أن فيه المحرك وهى النفس والمتحرك وهو البدن . وقد تلخص ذلك فى الثامنة من « السماع » . فالمنفعل هو البدن ، والفاعل القريب هو النفس ، وهو النزوع . ولا يكون نزوع إلا بوهم ، وقد يكون الوهم ولا يكون نزوع . والوهم هو المحرك ، والمتحرك هو الجسد . فليت شعرى : النزوع أهو يوجد فى الوهم حتى يكون له كالآلة ، أو هو فى المتحرك حتى لا يكون هيولى لذلك الوهم إلا بذلك النزوع ! فإنه ليس كل هيولى لكل متحرك ، بل لكل محرك بالطبع متحرك بالطبع . وقد ذكر ذلك أرسطو فى الثامنة من « السماع » . فأما أن التوهم ليس موضوعاً للنزوع فذلك كالبين بنفسه . فالنزوع إذاً فى شىء آخر . ولأن النزوع فى محسوس فهو ضرورة حال فى جسم ، إذ لا يحس إلا جسم . فهل هو صورة لذلك الجسم كالزجاج ؟ فإنه إذا كان زجاجاً بالقوة — وذلك عند ما يكون حجراً — فليس يمكن أن يتخذ منه آنية . فأما إذا صار زجاجاً بالفعل أمكن ذلك ، كالرطوبة فى السمع ، فهو حال فى ذلك الجسم . ولذلك الجسم وجود ما آخر . فلنفحص عن ذلك . والمقدمات الخاصة بهذا النظر الذى تتخذ منه الدلائل عليه قليلة . ولكن ليس يجب علينا بذلك ترك الفحص . وفى أمثال هذه يقول أرسطو : إنا وإن علمنا أنا لا نبلغ من العلم بهذا الأمر كنهه ، فلنبلغ منه قدر الكاد . وهذا إنما هو فى التصور ، لا فى التصديق . فنقول إنه قد تبين في غير

موضع أن القلب أو ما يقوم مقـــامه هو مبدأ الحيوان ، وأنه ينبوع للحار الغريزى الموجود فى البدن ، وأن بالحار الغريزى تكون جميع الحركات الموجودة فى البدن ، وأعنى بذلك الاغتـــذاء وضروب الـــنزوع والتوهم والتفكر : فإن الهضم وإن كان فى المعدة فهى كالكتابة وإن كان القلم هو الذى رسم الأحرف فإن الراسم هو الإنسان .

وبالجملة فالمحرك الأول هو الذى ينسب إليه الفعل ، كما تبين ذلك فى ثامنة « السماع » وقلناه نحن فى « رسالة الوداع » ، فإن المنصور هو الذى قتل عبد الله بن على وإن كان لم يتناول ذلك المنصور بيده ، وكان بعيداً عنه . فإن الآلة قد تكون متصلة بالفاعل ، وقد تكون منفصلة : مثال ذلك الصائد هو الذى أخذ الذئب فى الحبالة ، وإن كان الصائد غائباً عن الحبالة عند وقوع الذئب فيها . وذلك أن الآلة إما أن تودع المحرك الأول فيها حالاتها تفعل فعلها فلا تحتاج ضرورة إلى اتصالها بالمحرك ؛ وإما أن لا تقبل تلك الحال إلا وهى متصلة بالمحرك كالقلم .

* * *

وقد استطعنا الظفر بمجموعة خامسة من رسائل ابن باجّة ، نؤجل الحديث عنها ونشرها إلى فرصة مقبلة .

عبد الرحمن بدوى